
الرسالة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع الساحة رقم ٣٩ بالقاهرة
التليفون رقم ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر كل اسبوعين مؤقتاً

بدل الاشتراك
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الاول (القاهرة فى يوم الأحد ١٨ رمضان سنة ١٣٥١ — ١٥ يناير سنة ١٩٣٣) السنة الاولى

الرسالة

... وأخيراً تغلب العزم المصمم على التردد الخوار فصدرت الرسالة: وما سلط على نفوسنا هذا التردد إلا نُذُر تشاع وأمثال تروى.. وكلها تصور الصحافة الأدبية فى مصر سبيلا ضلت صواها وكثرت صرعاها فلم يوف أحد منها على الغاية، والعلة أن السياسة طغت على الفن الرفيع، والأزمة مكنت للأدب الرخيص، والأمة من خداع الباطل فى لَبْس من الأمر لا تميِّز ما تأخذ مما تدع! فلما تناصرت على هذه الوساوس حجج العقل، ونوازع الواجب، وعِدَات الأمل، أصبحت الأسباب التى كانت تدفع إلى النكول بواعث على الاقدام وحوافز للعمل، لأن غاية (الرسالة) أن تقاوم طغيان السياسة بصقل الطبع، وبهرجَ الأدب بتثقيف الذوق، وحيرة الأمة بتوضيح الطريق.

أجل هذه غاية الرسالة! وما يَصْدِفنا عن سبيلها ما نتوقع من صعاب وأذى، فان أكثر الناهضين بها قد طوّوا مراحل الشباب على منصة التعليم، فلا يُعييهم أن يُخلقوا بُرْد الكهولة على مكتب الصحافة، والعملان فى الطبيعة والتبعة سواء، ومن قضى ربيع الحياة فى مجادب ذلك، لا يشق عليه أن يقضى خريفها فى مجاهل هذا!

أما مبدأ الرسالة فربط القديم بالحديث، ووصل الشرق بالغرب. فبربطها القديم بالحديث تضع الأساس لمن هار بناؤه على الرمل، وتقيم الدَّرَج لمن استحال رقيه بالطفور! وبوصلها الشرق بالغرب تساعد على وجدان الحلقة التى ينشدها صديقنا الأستاذ احمد أمين فى مقاله القيم بهذا العدد

والرسالة تستغفر الله مما يخامرها من زهو الواثق حينما تَعِد وتتعهد. فان اعتمادها على الأدباء البارعين والكتاب النابهين فى مصر والشرق العربى، واعتصامها بخلصانها الأدنين من أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر، وهم صفوة من خرَّجت مصر الحديثة فى مناحى الثقافة، إذا اجتمعا فى نفسها مع ما انطوت عليه من صدق العزم وقوة الايمان أحدثا هذه الثقة التى تشيع فى الحديث عن غير قصد.

> يشترك فى تحرير المجلة:
> الدكتور طه حسين
> واعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر

على أن للرسالة من روح الشباب سنداً له خطره وأثره، فانهم أحرص الناس على أن يكون لثقافتهم الصحيحة مظهر صحيح. وما دامت وجهة الرسالة الاحياء والتجديد، وطبيعة الشباب الحيوية والتجدد، فلابد أن يتوافيا على مشرع واحد!

فالى أبناء النيل وبَرَدى والرافدين نتقدم بهذه الرسالة، راجين أن تضطلع بحظها من الجهد المشترك فى تقوية النهضة الفكرية، وتوثيق الروابط الأدبية، وتوحيد الثقافة العربية، وهى على خير ما يكون المخلص من شدة الثقة بالمستقبل. وقوة الرجاء فى الله؟

احمد حسن الزيات



شوقي وحافظ

تصدر الرسالة والأسى لا يزال يرمض القلوب على حافظ وشوقي . ولئن رمت المنون لسانهما الذليقين بالصمت الأبدى ، فقد تركت حظهما يتنازعان الذكر على ألسن الناس . وكان حظ شوقى فى مماته كما كان فى حياته شديد السطوع قوى البهر فكسف حظ أخيه ! وكاد حافظ البائس يضيع فى شوقى المجدود كما ضاع موت المنفلوطى فى موت سعد !

كان لشوقى المأتم الحافل ، والتأبين الفخم ، والوفود تترى ، والحفلات تقام ، والمراثى تفيض بها الصحف ، والحكومة تطبع كل ذلك بالطابع الرسمى فتزيده أبهة وروعة ! وكان لحافظ المأتم المتواضع ، والجنازة الصامتة ، والتأبين الموعود ، واصدقاء خلص يئنون فى كل حين أنة ، ثم يتركونها تتلاشى كما يتلاشى الرجع البعيد !!

الزعامة والشعر

خلا ميدان الشعر فجأة من قائديه العظيمين فحدث فى صفوف الشعراء اضطراب وفوضى ! وقام فى (السقيفة) المقلدون والمجددون يقولون : منا أمير ومنكم أمير ! وهناك أرسل الدكتور طه حسين حكمه المعروف فزاد الخلاف شدة والجدال حدة ! قضى للعراق بامارة الشعر التقليدى فغضبت مصر ! وكان الاستاذ الهراوى أشد المصريين حنقاً واعنفهم خصومة . فهو يقول فى استنكار وانفة . انه بايع الشاعرين مبايعة على للشيخين ! ثم ينشد فى ذلك أبياتا فيها معارضة وفيها شدة وفيها جمال ، وينتهى الى أن هذا الحكم قد أخزى مصر وقضى على نهضة الشعر !! ثم يعود فيستطرد الى لوم الناقدين والمجددين ، وينعى على وزارة المعارف انصرافها عن تعضيد الشعر ، ويقترح عليها ، والله أن تنشىء فى ديوانها قلماً يسمى قلم الشعراء تحمل عنهم فيه اكلاف العيش ، وتغلق عليهم باب الغرفة ، ثم تقول لهم : قولوا شعراً ! ونسى صديقنا الهراوى أن يطلب الى الوزارة أن تزود كل شاعر بسبحة يعد عليها أبيات الشعر ، كما يعد صوفيو التكية كلمات الذكر !!

أما شعراء الشباب الذين لا يجرون على أسلوب الهراوى والزين والكاشف ومحرم ونسيم ؛ فهم راضون ببراءة مصر من معرة التقليد ماضون كل المضى الى التفوق والتميز من طريق الانتاج والتنافس .

وسورية ؟

وسورية التى تجعل من خمائلها ورباها وادى عبقر ، وتدل بشعرائها المجددين فى الوطن والمهجر ، لا يرضيها أن تمر الزعامة بأرضيها الى العراق دون ان تحيى أو تلتفت على الأقل ! فلقد هبت (العاصفة) تدافع رأى الدكتور فى حدة وعنف ، وتقول مع السيد نجار : ما للدكتور يرسل الزعامة الى العراق فى طيارة ، وكان يكفيه ان يرسلها الى صاحبها مطران فى سيارة . ؟

والعراق ؟

والعراق هل اغتبط بهذه الزعامة ؟ اما الرصافى فيرجو ان يكون خليفة لشوقى وحافظ ثم يسعه ما وسعهما من حكم التاريخ وتقدير النقد . وأما الزهاوى فأنا اعلم انه يؤثر ان يكون فى ساقة المجددين على أن يكون فى طليعة المقلدين . والظاهر أن شعراء العراق قد سرهم هذا التفضيل على علاته ، ولكن ساءهم أن يوجه الى شاعرين معينين . فقد نشر اديب متقاعد ، فى جريدة الأخبار البغدادية فصلا قيما ينكر فيه استعمال الامارة والدولة فى لغة الشعر ، ويتساءل عمن جاد على شعراء مصر بهذه الألقاب ، ويلاحظ بالحق حرص المصريين على الألقاب وزهد العراقيين فيها . ويشكر للدكتور طه ترجيحه العراق على أية حال ، ولكنه ينكر رأيه فى تعيين جهة الزعامة ، (لأنه رأى فرد بعيد عن العراق فلا يصح الاستناد اليه فى حكم من الاحكام)

ثم تعصف النخوة فى رأس الشاعر الشاب محمد مهدى الجواهرى فيرسل اضبارة كبيرة من شعره الى الدكتور طه وكأنه يقول له : لو كنت قرأت هذا الشعر لما وجهت الزعامة الى غير هذا الشاعر !

واذن ؟!

واذن نستميح صديقنا الدكتور أن يدعها الآن فوضى حتى تسفر جهود الشباب عن عبقرية هذا الزعيم ! . .

مصر فى دورة الفلك

للدكتور محمد عوض محمد
الاستاذ بمدرسة التجارة العليا

على الرغم منى أعود الى التفكير فيك ، وعبثاً أحاول أن أصرف فكرى الى حديث غير حديثك ، وذكر غير ذكرك ..

ولماذا أصرف فكرى عنك ؟..

ألأنى آلم اذ أفكر فيما تعانين ، وما قد عانيت على مر السنين ؟.

ألم تعد فى النفس بقية من الشجاعة ؛ فأقابل بها الحقيقة ؛ وان كان أعذب ما فيها علقما مريراً ؟..

ألعلى أخشى إن أدمنت التفكير فيك ، أن أكون أبداً مقطب الجبين ، سجين الكآبة ، ثائر الفؤاد ؛ لا أستقر على قرار ، ولا أعرف للحياة لذة : فلا يبسم لى ثغر ، ولا تقر لى عين ؟

***

لماذا أصرف الفكر عنك ؟

ألأنى رويت من نميرك ، وغذيت من ثراك ، ونشقت من نسيمك ، ورتعت فى رياضك ، وأظلنى دوحك ، وأطربنى شدو غناء أطيارك .وهدانى بدرك المنير الى سر الجمال ، وسماؤك الصافية الى وحى الخيال ، ونجومك اللامعة الى جلال الكون ، وشمسك المشرقة الى قدرة الخالق ؟

مع هذا أحاول أن أصرف فكرى عنك ؟ فأى عقوق هـذا العقوق ؟ وأى جحود هذا الجحود ؟

***

أى مصر !

لقد كنت من قبل عظيمة جليلة .كنت من قبل ورأسك يسامى النجم . وقد ترامت على أقدامك الأمم ؛ لتقتبس منـــك النور ؛ وتلتمس منك الهداية . لقد كنت وفى كفك الهائلة صولجان من الذهب ذو كرة مشرقة لامعة . يوم أن كانت الشعوب الأولى فى ظلامها الحالك ؛ مالها موئل غيرك ؛ يوم لا نور الا نورك ؛ ولا هدى الا هديك .

كانت فى كفك كنوز الحضارة ؛ وكنت تنثرينها بسخاء ؛ للقريب والبعيد . فبآتوا وهم أغنياء بما التقطوا من خيراتك ، وما اقتبسوا من هباتك .

ثم حالت الحال . فأمسيت وقد تحطم الصولجان ، وكسر الجناح وانتهك الحمى ! وذل الأنف العزيز وانسكب الدمع العصى !!

فماذا دها الكون ؟ وأى اصبع قد أدارت الفلك تلك الدورة الهائلة ، حتى قلبته رأساً على عقب ؟..

يقولون انك قد عقمت !

عقمت فأصبحت لا تلدين الأحرار ، ولم يعد ثراك ينبت الأبطال !

أجل يزعمون أن تربتك لم تعد تخرج الا الزعانف والقزم : الذين همهم من العيش شهواتهم . ويعيشون فوق ثراك كالحشرات الطفيلية ؛ يستمرئون خيره ، ويحتسون رحيقه ، ثم لا يخطر لهم أن يذودوا عن حوض رواهم ، وموئل آواهم ، ودوحة أظلهم فرعها وغذاهم ثمرها .. ماهم بالرجال ولا بأشباههم ، ولا يجرى فى عروقهم دم ، بل جبن مذل . وخنوع مهين !.

يقولون هذا كله عن بنيك يامصر . فياليتهم كذبوا فيما ادعوه ويا ليت بنيك ينهضون لتكذيبهم !

أى مصر !

يقولون ان العام ربيع بعده صيف ، يتلوهما خريف وشتاء .

فهل مضى ربيعك وبان ؟

أكتب لك الشتاء الأبدى والزمهرير السرمدى ؟

ان كان هذا حكم الدهر فما أجوره !

ان كان هذا هو القضاء فما أقساه !

محمد عوض محمد

حلقة مفقودة

للأستاذ احمد أمين
الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

فى مصر حلقة مفقودة لا نكاد نشعر بوجودها فى البيئات العلمية مع أنها ركن من أقوى الأركان التى تبنى عليها نهضتنا . وفقدانها سبب من أسباب فقرنا فى الانتاج القيم والغذاء الصالح

تلك الحلقة هى طائفة من العلماء جمعوا بين الثقافة العربية الاسلامية العميقة وبين الثقافة الاوربية العلمية الدقيقة ، وهؤلاء يعوزنا الكثير منهم ؛ ولا يتسنى لنا ان ننهض الا بهم ، ولا نسلك الطريق الا على ضوئهم .

ان أكثر من عندنا قوم تثقفوا ثقافة عربية اسلامية بحتة وهم جاهلون كل الجهل بما يجرى فى العصر الحديث من آراء ونظريات فى العلم والأدب والفلسفة لا يسمعون بكانت وبرجسون ، ولا بأدباء أوربا وشعرائها ، ولا بعلمائها وابحاثهم . اللهم الا أسماء تذكر فى المجلات والجرائد والكتب الخفيفة لا تغنى فتيلا ولا تستوجب علما — وطائفة أخرى تثقفت ثقافة أجنبية بحتة يعرفون آخر ما وصلت اليه نظريات العلم فى الطبيعة والكيمياء والرياضة ويتتبعون تطورات الأدب الاوروبى الحديث وما أنتج من كتب وروايات وأشعار ، ويعلمون نشوء الآراء الفلسفية وارتقاءها الى عصرنا ، ولكنهم يجهلون الثقافة العربية الاسلامية كل الجهل . فان حدثتهم عن جرير والفرزدق والاخطل أشاحوا بوجوههم وأعرضوا عنك كأنك تتكلم فى عالم غير عالمنا : وان ذكرت الكندى والفارابى وابن سينا قالوا ان هى الا أسماء سميتموها مالنا بها من علم ، وماذا نحصل من هؤلاء الا على جمل غامضة ومعان عميقة لا تفيد علما ولا تبعث حياة — وبالأمس كنت أتحدث مع طائفة من المتعلمين عن « البيرونى » العالم الاسلامى الرياضى المتوفى سنة ٤٤٠ ه وما كشف من نظريات رياضية وفلكية وان المستشرق الألمانى « سخاو » يقرر أنه أكبر عقلية عرفها التاريخ فى كل عصوره . وأنه يدعو الى تأليف جمعية لتمجيده واحياء ذكره تسمى جمعية البيرونى . فحدثنى أكثرهم انه لم يسمع بهذا الاسم ولم يصادفه فى جميع قراءاته وهو يعرف عن ديكارت وبيكون وهيوم وجون ستوارت مل كثيراً ، ولكنه لا يعرف شيئا عن فلاسفة الاسلام . ومثل ذلك قل فى الأدب العربى والأوربى والعلم العربى والأوربى كل ثقافته العربية فى كتاب القواعد وأدب اللغة للمدارس الثانوية ان كان قد بقى منها شىء فى ذاكرته

هاتان الطائفتان عندنا ، يمثل الأولى خريجو الأزهر ودار العلوم ومدرسة القضاء ، ويمثل الأخرى نوابغ خريجى المدارس العصرية والبعثات الأوربية . أما الذين حذقوا العربية والعلوم الاسلامية ونالوا حظا وافرا من الثقافة الأجنبية فأولئك هم الحلقة المفقودة فى مصر ، وفقدانها سبب الركود فى الحياة العقلية والأدبية

ذلك أن الأولين اذا أنتجوا فعيب انتاجهم أنهم لم يستطيعوا أن يفهموا روح العصر ولا لغة العصر ولا أسلوب العصر ، وانما التزموا التعبير القديم فى الكتابة ، والنمط القديم فى التأليف ، وتحجرت أمثلتهم وملّ الناس بلاغتهم ، وعمادها رأيت أسدا فى الحمام وعضت على العناب بالبرد وعشرة أمثلة من هذا الطراز . ومل الناس نحوهم ومداره ضرب زيد عمراً ورأيت زيدا حسنا وجهه ، وسئم الناس منطقهم ، وكله الانسان حيوان وكل حيوان يموت فالانسان يموت وهذا حجر وكل حجر جماد فهذا جماد — ضجوا بالشكوى لأن الناس لا يسمعون منهم ، وضج الناس بالشكوى لأنهم لا يأتون بجديد ولا يضعون القديم فى شكل جذاب ، ولا يلمسون الحياة التى يحيونها ولا البيئة التى يعيشون فيها فانصرفوا عن الناس وانصرف الناس عنهم ورضوا أن يعيشوا فى جوهم الخاص ورضى الناس منهم بذلك وسلكوا سبيلا غير سبيلهم وابتغوا دليلا غير دليلهم

وأما الآخرون فضعفت ثقافتهم العربية الاسلامية ، فلما أرادوا أن يخرجوا شيئا لقومهم وامتهم أعجزهم الأسلوب والروح الاسلامى . فلم يستطيعوا التأليف ولا الترجمة وحاولوا ذلك مرارا فلم يفهم الناس منهم ما يريدون وسبوا القراء ورموهم بالضعف والانحطاط ، وسبهم القراء ورموهم بالعى وانهم لا نفهمون ما يكتبون فعاشوا فى أنفسهم ولأنفسهم ورضوا من الغنيمة بالاياب

كان من نتيجة ذلك أن الأدب العربى الاسلامى والعلم العربى الاسلامى والفلسفة العربية الاسلامية على غناها ظلت دفينة لا ينتفع بها ، تنتظر جيلا جديدا يسيغها ويهضمها ويبرزها فى شكل تألفه الناس ، وأن الأدب الغربى والعلم الغربى والفلسفة الغربية حرم منها أكثر الشرقيين ولم يصل اليهم الا نوع خفيف ينشر فى المجلات والجرائد وأمثالها يقرؤها الناس ليطردوا بها الضجر أو يستعطفوا بها النوم ، فأما أدب غزير وعلم عميق وكتب محترمة ومجلات قيمة فقليل نادر

والذى جر الى فقدان هذه الحلقة أن التعليم عندنا سار فى خطين متوازيين لم يلتقيا ، فالتعليم العربى الاسلامى سار فى خط ، والتعليم المدنى الحديث سار فى خط آخر ، ولم تكن هناك محاولات جدية لتلاقى الخطين أو ربط بعضهما ببعض

لا أمل فى اصلاح هذه الحال الا بالعمل على ايجاد الحلقة المفقودة

وهى تذوق الثقافتين ،والاغتراف من المنهلين ، واخراج أدب وعلم وفلسفة غذيت بما للعرب والاسلام من ثقافة، ولقحت بما للاوروبيين من ثقافة ومنهج ،فيها اللغة العربية قوية رصينة وروح الاسلام قوية متينة . وفيها ما للاوروبيين من عرض للمسائل جذاب ونهج فى الكتابة رشيق وفيها مقارنة شهية بين ما أنتجه الأولون والآخرون.

لو تم ذلك لرأيت التاريخ الاسلامى يعرض على القراء فى شكل محبوب يقرأونه ويستسيغونه، ورأيت الأدب العربى يقـدم الى الجمهور فى ثوبه الجديد فيألفونه ويحبونه ورأيت الفلسفة الاسلامية يغاص عليها غوصاً عميقاً ثم تخرج من أصدافها وتجلى للقراء درة لامعة .

هذا هو السبب فى نجاح رفاعه باشا ومدرسته فأنتجت انتاجا غذى عصرهم بل كان فوق كفايتهم ؛ فقد أرسل رفاعه الى فرنسا بعد ان درس فى الأزهر وتعمق فى العربية والعلوم الاسلامية فلما حصل على الثقافة الفرنسية وضع يده على المنبعين فأخرج هو ومدرسته للناس ما استساغوه وأحبوه ونهضوا به ولم يكن كذلك من لحق بهم وخلف من بعدهم .

وقد كان اخواننا الهنود أسبق منا الى ايجاد هذه الحلقة والانتفاع بها . اخرجوا التاريخ الاسلامى فى ثوب جديد على نمط ما يكتب الغربيون ولكن بروح اسلامى وكتبوا فى الدين الاسلامى والفقه الاسلامى بلغة العصر وروح العصر ونظام العصر كما فعل السيد امير على والسيد محمد اقبال فقد تضلع هذان العالمان الجليلان من الثقافة الاسلامية والأوروبيـــة ؛ وأشرب قلباهما حب الاسلام فأخرجا كتباً يقرؤها الشباب المثقف فيحبها ويحب موضوعها ويستزيد منها ، ويقرؤها الشاب المتعلم المتخصص فى الطبيعـــة والكيمياء فيجدها تتمشى مع العلم الذى ثقفه والنهج الذى ألفه —

وتقرأ للسيد محمد اقبال فتجده يعرض لفلسفة « كانت » فاذا هو فيها دارس عميق والغزالى فاذا هو باحث دقيق ويقارن بين النصرانية والاسلام فيكشف عن باحث خبير فيما يكتب ويعرض لشعراء الألمان كجوته فيحلله تحليلا يدعو الى الاعجاب ويتكلم فى المعتزلة والصوفية فاذا هو قد تغلغل فى أعماقهم واستبطن دخائلهم ثم عرض تعاليمهم كما يعرض الاوروبى فلسفة قومه شيقة عذبة لذيذة .

ولكن الهنود يعرضون واأسفاه ذلك باللغة الانجليزية فلا يغذون جمهورنا ولا يسدون حاجة العالم العربى انما يتغذى الشرق بهـذا يوم توجد هذه الحلقة المفقودة فى العالم العربى كمصر والشام فيحيى آثار الأولين بأسلوب الآخرين ؛ ويوم يكسر هذا الحاجز الذى يحجز بين علم الشرق وعلم الغرب ، ويوم يلوى الخطان المتوازيان فيلتقيان ؟

احمد أمين

أثر الثقافة العربية

فى العلم والعـــالم

بقلم احمد حسن الزيات

— ١ —

الشعوب كالأفراد ، فيها من يولدون على حكم الطبيعة ، ويعيشون على هامش الحياة ، ثم يغوصون فى ظلال العدم ، لا ينعم بهم وجود ، ولا يغنم منهم انسان،ولا يعبأ بهم تاريخ . وفيها من يقبلون اقبال الربيع ينضرون الحياة بالجمال ، ويمرعون الأرض بالخصب ، ويفيضون على الدنيا سلاما ووئاما وغبطة ! أولئك الذين يصطفيهم الله من خلقه لاعلاء حقه ، فيودعهم سره ويحملهم رسالته فيعيشون لأجلها ، ثم يموتون فى سبيلها ، بعد ان يخلدوا فى صدر الزمان وعلى وجه الأرض آثار جهادهم فى الله، وجهودهم للناس ، وفضلهم على المجتمع . وهؤلاء هم أدلاء ركب الحياة ، وحمال ألوية الخليقة يقلون قلة الصفوة . ويبطئون ابطاء الخير . ولكن آثارهم تشغل ذهن العالم . وأخبارهم تملأ سمع الزمن !!.

هذا التاريخ على طوله وفضوله لم يسجل من الأمم التى بلغت رسالات الله بالخير والجمال والحق الا أربعا : العبران فى الدين والسلم . واليونان فى الفن والعلم والرومان فى النظام والحكم . والعرب فى كل أولئك جميعاً !

— والعرب فى كل أولئك جميعا — فقرة أقولها وأنا أعلم أن الشك فيها سيحك الآن فى بعض الصدور . لأن ما أقرته التعاليم المريضة فى الأذهان من أن اليونان والرومان هم مصادر الثقافة العالمية . وأن العرب أعجز بفطرتهم عن العلم . وأبعد بطبيعتهم عن التمدن . يجعل هذه القضية على اطلاقها سخيفة !

لقد آن للنظر الصحيح أن يرى ، وللعقل المجرد أن يحكم !.
أما الأحكام التى صدرت عن موتورى الشعوب وتجار العقائد ووراث الأحقاد فلا وزن لها فى نظر المنطق ولا شأن لها فى رأى العلم

كان العرب فى الشرق فاتحين وحاكمين فلا بدع أن تعصف ثورة العصبية . وتقوم دعوة الشعوبية . وتظهر فكرة الاسماعيلية والاسحاقية . ويبقى من آثار ذلك ما نشاهده اليوم وقبل اليوم فى سياسة الترك والفرس من ازورار عن العربية واضطغان على العروبة . وكان العرب فى الغرب فوق ذلك شرقيين ومسلمين فلم يكن بد من تصادم العقائد وتعارض الطبائع وتحكم الجهالة .

محاضرة ألقيت فى صالة المحاضرات بالجامعة الامريكية فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢

فتنشأ محاكم التحقيق. وتصدر عقوبة التحريق والتمزيق. ويشاب التعلم بالتضليل والتلفيق. ويبقى من آثار ذلك أن تظل كنيسة الحمراء تقرع نواقيسها أربعاً وعشرين ساعة قرعاً متداركا فى ثانى يناير من كل عام ابتهاجا بجلاء العرب عن الأندلس! فكيف يرجى من هؤلاء وأولئك الاقرار بفضل العرب على الثقافة. والاعتراف بجميلهم على الحضارة. وفى النفوس من غلبة الفاتح وتر. ومن عظمة الحاكم حقد. ومن دين المجاهد احنة. ومن سلطان الدخيل نفور؟ والنهضة الحديثة لم تستطع بفلسفة ديكارت وحرية الفكر ونزاهة التعلم أن تصفى العقول من شوائب هذه المذهبية القديمة، فلا يزال نفر من العلماء يكابدون ازدواج الشخصية فيهم. فهم يجمعون فى اهاب واحد بين رجلين مختلفين: حديث يتأثر بالدراسة الشخصية والبيئة الخلقية والفكرية. وقديم يتكون على بطء من تراث الأجداد ومخلفات القرون. وهذا الرجل العتيق هو الذى يتكلم فى أكثر الناس، فيملى عليهم الآراء، ويلبس عليهم وجوه الحق. فاذا تنبه الرجل الحديث وتكلم وقع صاحبهما فى التناقض وتعسف من جرائهما فى الحكم. وأصدق الأمثلة على هذا الصنف من الباحثين العالم المؤرخ (ارنست رنان) خالق فكرة السامية والآرية، وأعدى الكتاب للامة العربية. فان ازدواج الشخصية فيه جعل آراءه فى العرب متناقضة يدفع آخرها أولها. له محاضرة معروفة عن الاسلام ألقاها فى السربون؛ وقد جهد أن يدلل فيها على وضاعة شأن العرب فى التاريخ وقلة غنائهم عن العلم؛ ولكن الرجلين القديم والحديث كانا يتعاوران الكلام على لسانه فينقض أحدهما ما أبرمه الآخر. فبينا هو يقول مثلا: «ان العلوم والآداب والحضارة مدينة بازدهارها وانتشارها للعرب وحدهم طوال ستة قرون؛ وان التعصب الدينى لم يعرفه المسلمون الا بعد أن دالت دولة العرب وخلفهم على ولاية الاسلام الترك والمغول»، اذا به يقول بعد ذلك: «ان الاسلام كان لاينفك مضطهداً الفلسفة والعلم وانه جعل من دون الحرية الفكرية سداً فى كل بلد احتله». ثم يعود فيفيض القول فى فضل العرب على القرون الوسطى وفيما كانت عليه اسبانيا من الرخاء والارتقاء فى عهدهم. فاذا فرغ من ذلك سارع الرجل القديم فيه الى القول بأن الذين نهضوا بالعلم من المسلمين لم يكونوا من العرب وانما كانوا من سمرقند وقرطبة واشبيلية؛ وأنساه شيطانه أن هذه البلاد عربية وأن الدم العربى والعلم العربى قد تغلغلا فى أصولها منذ طويل؛ وأن تقسيم العرب الى عرب وعرابوفون سلاح لاتقلت منه أمته نفسها اذا حلل هذا التحليل نسبها وأدبها. ثم تنتهى المعركة بين الرجلين فى (رينان) بقوله فى صراحة مفاجئة: «مادخلت مسجداً قط الا تملكنى انفعال شديد هو لو أفصحت عنه نوع من الأسف على أنى لم أكن مسلماً!»

على أن هناك فريقا من صفوة العلماء الأوربيين تحرروا من حكم الهوى، وتحللوا من قيد الغرض، فأقروا الحق فى نصابه، وارجعوا الفضل الى أهله سنجعلهم شهودنا فى اثبات ما نقول. فأن أشد ما شهد امرؤ على نفسه واقرب الآراء الى الحق رأى الفرد فى جنسه

كان العالم شرقه وغربه فى أوائل القرن السابع للميلاد قد استحال كونه الى فساد. فحضارته تتحطم بالترف والرخاوة. وسياسته تتحكم بالغلول والأثرة؛ وأخلاقه تتفكك بالسرف والشهوة، وعقائده تتنزى بالجدل والتعصب ودماؤه تهدر بين الروم والفرس لغير غرض أسمى ولا مبدأ مقدس. وكانت شعوبه منذ طويل قد فقدت مثلها العليا فهى تعيش عيش الهمل السوائم: فلا عظمة روما تحفز الرومان، ولا مجد السلف يهز الفرس، ولا سمو الغاية يسدد وثبة البربر.

على هذه الحال خرجت أمة العرب برسالتها الدينية والخلقية الى هذا العالم المنقض والهيكل البالى فجددت اخلاقه على الرجولة؛ وطبعت عقيدته على التسامح، ورفعت مجتمعه على المحبة؛ وصمدت للجهاد والفتح فى سبيل هذا المثل الأعلى لا تطمح من دونه الى سلطان ولا تطمع من ورائه فى غرض حتى انشأت فيما دون القرنين ملكا طبق الأرض. وحضارة هذبت العالم وثقافة حررت العقل ولم يكن ذلك مستطاعا لغير الأمم الموهوبة التى هيأها الانتخاب الطبيعى لتبليغ رسالة او تجديد دعوة او تحقيق (ادیال Ideal). وكأين من امة قوضت سلطان أمة او امم. ولكنها لم تعد ما يفعل منسر من اللصوص سطا على قافلة او قطيع من الوحوش عدا على قرية فالشعوب الجرمانية والهونية والسلافية تعاقبت غاراتها على الرومان فى الشرق والغرب فاجتاحوا ملكهم؛ والقبائل التركية والمغولية قد دهموا العرب فثلوا عرشهم. ولكن شعباً من هذه الشعوب لم يصبغ قلبه للمدنية؛ ولم يجد فتحه على الانسانية فظلوا بعداء عن الحضارة غرباء عن العلم الاما كان من ترويجهم بعد لحضارة المغلوب وثقافته

اما القبائل العربية فلم يكادوا ينضون عن كواهلهم عتاد الحرب وينفضون عن وجوههم غبار الصحراء؛ حتى صعدوا فى مراقى الحضارة بسرعتهم فى طريق الفتوح. واستطاعوا ان يرفعوا على انقاض اليونان والرومان والفرس حضارة ثابتة الأصول باسقة الفروع لايظهر فى عناصرها المختلفة الا روح الاسلام وفكر العرب ثم كانت من القوة بحيث طاولت الدهر. وصاولت المغير.

« البقية على ص ١٨ »

فى تعدد الاوضاع

البلبلة والضياع

للاستاذ عبد القادر المغربى
عضو المجمع العلمى العربى بدمشق

الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربى علم من أعلام الادب وعضو نابه من أعضاء المجمع العلمى العربى وقلم بارع من أقلام مجلته الزاهرة . وله بمصر وصحافتها صلة قديمة ، فاقد تولى التحرير بجريدة المؤيد حينا من الدهر كانت مقالاته فى النقد والاجتماع موضع الاعجاب من صفوة الشباب وناشئة الكتاب لطرافة أسلوبها وحرية تفكيرها ، وقد تفقه اللغة الفرنسية فى عهد الكهولة فاستمد منها فى جهاده الادبى قوة عظيمة . ولا يزال الاستاذ بجلد الشبيبة وحكمة الشيخوخة يزاول التعليم فى كلية الآداب بدمشق والتحرير بمجلة المجمع وقد تفضل أيضاً فنح بعض هذا الجهد القيم « مجلة الرسالة »

أعرض على حضرات قراء هذه « الرسالة » مثالا واحداً من أمثلة الحيرة التى تعترى النقلة والمترجمين عند ما يريدون وضع كلمة جديدة أو نقل كلمة أعجمية الى لغتنا العربية ولاسيما اذا كانت من مصطلحات العلوم الفلسفية أو النفسية أو الاجتماعية .

كثيراً ما تتردد فى كتابات المشتغلين بالفلسفة الحديثة كلمتا Objectif و Subjectif ويريدون بكلمة Objectif التفكير فى الأمور من حيث مظاهرها الخارجية ومن دون أن يكون للانفعالات النفسية تأثير فيها .

أما Subjectif فيريدون بها التفكير فى الأمور لا من حيث مظاهرها الخارجية بل من حيث وقعها فى نفس المفكر وتأثيرها فى شعوره الباطنى .

هذا ما يمكن أن يقال فى تفسير الكلمتين تفسيراً اجماليا . ولما أراد كتاب العرب أن يضعوا لهما كلمتين عربيتين اختلفوا فى الوضع أو الاختيار اختلافا كبيرا .

وربما كان أسبق هؤلاء الواضعين كتاب الاتراك . فقالوا فى ترجمة Subjectif وهو ما نفكر به باطنياً « لاهوتى » وفى ترجمة Objectif وهو ما نفكر به خارجياً « ناسوتى »

وقام من الأتراك العثمانيين كاتب المعى هو بابان زاده أحمد نعيم فاستحسن أن يقال مكان لاهوتى « أنفسى » ومكان ناسوتى « آفاقى » نسبة الى كلمتى « الأنفس والآفاق » ناظراً فى ذلك الى الآية القرآنية الكريمة (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

أما كتاب العرب فى مصر فربما كان نجارى بك رحمه الله هو أول من أعلن ترجمة هاتين الكلمتين الى العربية فى معجمه الكبير (الفرنسى والعربى) المطبوع سنة ١٩٠٥ م

فقد فسر كلمة Subjectif وهو ما نفكر به باطنيا بكلمة « جوهر » وفسر كلمة Objectif وهو ما نفكر به خارجياً بكلمة « عرض »

ثم جاء بعد نجارى من كتاب مصر من ترجم كلمة subjectif « بالذاتى » وكلمة Objectif « بالموضوعى »

وقال غير هؤلاء بل تترجم Subjectif « بالفاعلى » وكلمة Objectif « بالمفعولى »

ثم وصل الى كتاب العرب فى العراق : فترجم الأستاذ الكبير ساطع بك الحصرى كلمة Subjcetif وهو ما نفكر به باطنيا بكلمة « شخصانى » نسبة سريانية الى كلمة « شخص » على حد قولنا « جسمانى وروحانى » فى النسبة الى الجسم والروح — وفسر كلمة Objectif وهو ما نفكر به خارجيا بكلمة « شبحانى » نسبة الى « الشبح » الذى يرى من بعيد . ملاحظا أن معنى « الشبح » يراد أحيانا من كلمة Objectif ومنه تسمية البلورة الصغيرة فى آلة التصوير الشمسى Objectif وهى التى تلتقط صور الأشباح الخارجية فترتسم فيها

ولم يكد يذيع الأستاذ ساطع بك رأيه فى ترجمة الكلمتين ويبرهن على صحته حتى عارضه الاستاذ اسماعيل مظهر فى مجلة (العصور) مدعياً أن ترجمة كتاب مصر لهما « بالذاتى » و « الموضوعى » خير من ترجمة الاستاذ ساطع لهما « بالشخصانى » و « الشبحانى »

وسئل الأب انستاس الكرملى عن ترجمة هاتين الكلمتين فأجاب فى مجلد السنة السادسة من مجلة (لغة العرب) بما نصه : يقابل Objectif فى لساننا كلمة « الذهنى [1] » والثانى Subjectif يقابله فى لغتنا كلمة « الخارجى » . قال أبو البقاء فى كلياته عن الأول كذا وعن الثانى كذا . . .

ثم نقل الأب الكرملى عبارة أبى البقاء بطولها وقفى عليها بقوله : (فأنت ترى من هذا أن تعريف كل من « الذهنى » و « الخارجى » تعريف صحيح على ما يفهمه الافرنج فى هذا العهد . ولا نعرف للحرفين المذكورين كلمتين أخريين ، ومن يعرفهما فليذكرهما لنا ا هـ)

هذا ماقاله كتابنا على اختلاف امصارهم فى ترجمة هاتين الكلمتين ، وقد دار محور النزاع بينهم حول سبعة أزواج من الكلم وهى :

١ كذا فى الأصل ولعل صوابه بالعكس

« البقية على ص ١٤ »

اللغة العربية

كأداة علمية

للدكتور علي مصطفى مشرفة
الأستاذ بكلية العلوم

تجتاز اللغة العربية فى عصرنا الحالى مرحلة من مراحل تطورها سيكون لها أثر واضح فى مستقبلها . فاللغة التى كان عرب البادية يتكلمونها بسليقتهم فيصفون بها حياتهم ويعبرون بها عن مشاعرهم فى صحرائهم وبين إبلهم وآرامهم والتى صارت بعد ذلك لغة الكتاب والفلاسفة فى عصور المدنية الاسلامية ؛ يتناولون بها سائر المعانى الأدبية والفلسفية . تلك اللغة قد كتب عليها أن يصيبها الخمول فتبقى مئات السنين بعيدة عن مجهودات البشر الأدبية والفلسفية والعلمية ثم هانحن نراها اليوم وقد بعثت من مرقدها فى ثوب جديد فصارت لغة الكتابة والتأليف ، لغة الخطابة والتعليم فى عصر انتشرت فيه مدنية جديدة وعمته حضارة مستحدثة ؛ تختلف فى مظهرها الخارجى وفى المحمل العقلى المرتبط بها اختلافاً بيناً عن حضارات القرون الوسطى . فاللغة العربية تبعث اليوم كما بعث الفتية بعد أن ضرب على آذانهم فى الكهف سنين عددا فتجد نفسها فى عالم جديد موحش لا تأنس اليه ولا يأنس اليها وهو لعمرى موقف نادر تقفه لغتنا لعله فريد فى بابه . لذلك كان لزاماً على الأدباء والمفكرين من أهل اللغة العربية فى عصرنا الحالى أن يحوطوها بعنايتهم وأن يهيئوا لها أسباب الحياة الطيبة فى بيئتها الجديدة حتى تتكيف بالبيئة وتجنح اليها كما تتوتر لها البيئة وتحتويها فاللغة كالكائن الحى فى تفاعل مستمر مع البيئة التى تحيط به فاما تلاءماً فاشتد الكائن وتكاثر ونما واما تنافراً فاضمحل وتضاءل وهلك .

واذا نحن قارنا البيئة الفكرية الحديثة بما كانت عليه فى أيام ازدهار الحضارة العربية فلعل أول ما يسترعى نظرنا من الفوارق تغلب الروح العلمية على تفكيرنا الحديث . فالمدنية الحالية كما يدل عليه تاريخها مدنية علمية ، مدنية كشف واختراع ، مدنية استنباط وتحليل ، ولذا كان مظهرها الخارجى غاصاً بالآلات والعدد تكتنف الناظر اليها عن اليمين وعن الشمال . فلا عجب أن تشعر لغة العيس والسهام بوحشة بين الطيارات والمدافع الرشاشة ومما لاشك فيه أن التقدم الذى حدث بمصر وفى سائر البلاد العربية فى العصر الحالى قد كان من شأنه العمل على المقاربة بين اللغة العربية الحديثة وبين بيئتها . فمن ناحية قد تطورت اللغة بأن دخلت عليها كلمات وعبارات مستحدثة نشأت الحاجة اليها كما تغيرت معانى الألفاظ ومدلولات التراكيب بما يتفق والتفكير الحديث ، وهجرت الألفاظ الغريبة علينا أو التى لا لزوم لها ، فنشأ عن ذلك تهذيب فى اللغة قربها الى عقولنا وساعد على حسن استخدامها . ومن ناحية أخرى بانتشار التعليم بين طبقات الامة وبزيادة تبحر متعلميها فى مختلف العلوم والفنون قد انتشرت الألفاظ والتراكيب العربية وشاع استعمالها فى طول البلاد وعرضها كما تكونت طوائف من العلماء والمفكرين بيننا يكتبون ويخطبون ويؤلفون فى سائر العلوم والفنون فنشأت ثروة من الأدب العلمى والأدب الفنى الحديثين يصح أن تعد مرجعاً لعلماء اللغة فى دراستهم للغة العربية الحديثة . الا اننا مع ذلك لا نستطيع أن نزعم أن الشقة بين اللغة وبيئتها قد تلاشت تماما . فلا تزال هناك مدلولات عديدة لم تتسع اللغة للتعبير عنها بحيث يشعر المتعلم منا بنقص فى لغته عندما يحاول الكلام فى كثير من المواضيع العلمية والفنية . كما أنه من ناحية أخرى يوجد نقص كبير فى عدد المتعلمين الذين يحسنون الكتابة أو الخطابة بلغة متفق على صحتها .

وبعبارة أخرى كل ما يمكن أن يقال ان اللغة العربية الحديثة لا تزال فى دور التكوين .

لو اتيح لنا ان ننظر الى مستقبل اللغة العربية فترى ماذا نجد ؟ هل نجد لغة واحدة يكتبها ويتكلمها المتعلمون من اهل مصر واهل العراق واهل الشام وغيرهم من الأمم العربية بفروق ضئيلة : لا تزيد على الفروق بين لغة اهل استراليا ولغة اهل انجلترا . وهل تكون هذه اللغة قريبة من اللغة العربية التى اكتبها الآن قرب لغة الانجليزى المتعلم الآن من لغة شكسبير ؟ ام هل نجد لغات مختلفة لغة فى مصر واخرى فى العراق واخرى فى لبنان ، مثلها كمثل اللغة الألمانية واللغة السويدية واللغة الهولندية فى تقاربها وتباعدها ، كل لغة متأقلمة بلهجة اهلها ولا صلة بين ابها وبين لغة هذا المقال الا كالصلة بين اللغة الألمانية واللغة اللاتينية . وبعبارة اخرى هل ستحيا اللغة العربية وتنتشر او ستموت وتندثر وتحل محلها لغات اخرى ! ان مآل اللغة العربية فى مستقبلها متوقف علينا نحن اليوم . فاللغة كما قدمت فى دور التكوين ولذا فهى بيدنا قتلها وفى يدنا احياؤها . اما قتلها فيكون بالجمود بها عن تطورها الطبيعى كما يكون بعدم التعاون بين الأمم المختلفة من اهلها على توحيدها والمحافظة على وحدتها . واما احياؤها فيكون بالتبصر والحكمة وحسن الرعاية والتمشى بها فى السبيل الطبيعى لرقيها كلغة حية واحدة

ومن حسن الحظ أن لدينا اليوم من الوسائل ما نستطيع به المحافظة على لغتنا فى مصر وفى سائر البلاد العربية ، فانتشار المطبوعات وسهولة الانتقال من بلد الى أخرى والاذاعة اللاسلكية كل هذه عوامل قوية على توحيد اللغة وتعميمها اذا نحن أحسنا استخدامها وتنظيمها

ولست أتعرض فى هذا المقال للغة الأدبية بل أترك ذلك لأدبائنا وكتابنا وانما أريد أن أشير الى بعض الصعوبات التى تصادف لغتنا اليوم كأداة للتعبير العلمى . فمن جهة لا تزال كمية التأليف العلمى فى مصر وفى الأقطار العربية ضئيلة بحيث لا يمكن بحال ما أن تعتبر ممثلة لحالة العلم فى العالم اليوم ، ومن ناحية أخرى يعوز المؤلفات العلمية الموجودة التهذيب كما يعوزها التجانس فى المصطلحات ، فكثير من المدلولات العلمية لا توجد الصيغ اللفظية لها ، وبعض المدلولات توجد لها صيغ اما ضعيفة أو غير صالحة ، كما أنه توجد فى بعض الأحايين صيغ متعددة للمدلول الواحد مما يؤدى الى نوع من الفوضى فى أدبنا العلمى يجب علينا تلافيها . والطريقة المثلى للتقدم تكون بتأليف لجان من الاخصائيين لمراجعة المؤلفات الموجودة وتهذيبها والعمل على تجانسها كما تكون بتكليف القادرين منا وتشجيعهم فرادى ومجتمعين على وضع المؤلفات فى مختلف الفروع العلمية حتى تتألف لنا ثروة من الأدب العلمى يصح أن يعتمد عليها علماء اللغة فى استخلاص المصطلحات والعبارات العلمية فى لغتنا الحديثة وتحديد معانيها ومدلولاتها بمعاونة العلماء الاخصائيين فى ذلك . ويجب أن أذكر بهذه المناسبة أن من العبث أن يحاول علماء اللغة وضع المصطلحات العلمية وضعاً قبل ورودها فى المؤلفات العلمية وشيوع استعمالها فان ذلك يكون من باب التسرع وقلب النظام الطبيعى لتطور اللغة وهو فى الغالب مجهود أكثره ضائع اذ لا يمكن التنبؤ بما اذا كان مصطلح من المصطلحات سيبقى ويدخل فى صلب اللغة أو سيموت ويحل غيره محله .

بقيت نقطة اريد ان اتعرض لها وهى العلاقة بين المصطلحات العربية ومصطلحات اللغات الحية الأخرى . ففى رأيى انه من الجائز استعمال مصطلح اجنبى فى لغتنا — بعد تحويره ليتفق مع ذوق اللغة واوزانها — بشروط ان يكون هذا اللفظ مستعملا فى جميع اللغات العلمية الأخرى او فى معظمها . ومثل هذه الألفاظ تكون فى الغالب مشتقة من اصل اغريقى او لاتينى لا جناح علينا نحن اذا اشتققنا منه كما اشتق غيرنا . اما الألفاظ الأجنبية المقصورة على لغة واحدة او لغتين فرأيى ان يكون له عندنا لفظ عربى مرتبط بأدبنا وتفكيرنا .

ولا يتسع المجال لزيادة التفصيل فليس المراد من هذا المقال ان أدخل القارىء فى مسائل فنية هو فى غنى عن بحثها وانما أرجو أكون اثرت من نفسه الاهتمام بهذا الموضوع الذى هو من اهم المواضيع المرتبطة بحياتنا وتقدمنا .

على مصطفى مشرفه

رسالة الاديب فى مصر

بقلم الأديب عبد الحميد يونس

وقف الفيلسوف الانجليزى توماس كارليل وقفة طويلة فى كتابه « الأبطال » عند البطل فى صورة الأديب وعرفه بأنه « الرجل الذى يردد لنا نفسه الملهمة » ، وأقول الملهمة لأن ما نسميه بالعبقرية أو الصدق أو الموهبة أو صفة البطولة التى لا نجد لها اسما خليقاً بها تدل على أن الأديب هو الذى يعيش فى أعماق الأشياء : فى الحقيق فى الالهى ؛ فى الخالد الذى يوجد أبداً والذى لا تراه الدهماء ، لأنه يختفى وراء الزائل الحقير دائماً أبداً . الأديب هو الذى يذيع هذا الخفى للناس بالقول او بالعمل ؛ وحياته اذن قطعة من قلب الطبيعة الذى لا يعتوره الفناء » ثم استعان بآراء الفيلسوف الألمانى (فخته) الذى اذاع سلسلة محاضرات فى موضوع « طبيعة الرجل الأديب » قال فيها ان كل الأعمال التى يعملها الناس والأشياء التى تقع عليها ابصارهم فى هذه الدنيا ليست الا ثوباً او مظهراً احساسياً يجثم وراءها ما أسماه « فكرة العالم الالهية » وهى « الحقيقة التى توجد فى اعماق المظاهر جميعاً » ، وهى بالطبع لا تظهر لعامة الناس لأنهم يعيشون بين المظاهر والماديات . فرسالة الأديب أن يميز لنفسه وللناس هذه الفكرة الالهية بما فيها من روعة وجمال وقوة وان يقف الى جانبها معجبا متعجباً ؛ وان يذيعها فى الناس حتى يكونوا انعم بحياتهم واقدر على فهم وجودهم . عليه ان يسمو بهم فوق رغبات العيش المادى من طعام وشراب وكساء وان يحررهم — ولو الى حد ما — من قيود الزمان والمكان .

وأظنك تستطيع ان تتخذ هذا التعريف مقياساً توازن به بين الأدب الحى والأدب الميت . فكما يوجد فى هذا العالم اطباء ودجالون يدعون الطب كذلك يوجد ادباء وادعياء يدعون الأدب . واذا كنت تحرص الحرص كله على التمييز بين النقود الصحيحة والنقود

الزائفة وهي التي تحصل بها على اغراضك المادية فالأجدر بك ان تكون أكثر حرصاً على التميز بين الآثار الأدبية الصالحة والآثار الأدبية الزائفة وهي التي تحصل بها على أغراضك الروحية

والأديب يولد ولا يصنع - كما يقول الانجليز - أي أنه رجل لا يكتسب صنعة الأدب بالتعلم والمران مالم يكن موهوباً بطبيعته. بيد أن هذه الموهبة كالشجرة مالم تثقف وتشذب فلن تؤتي أكلها لذيذاً شهياً . . .

نخرج من هذا بأن الأديب في مصر هو الأديب في غير مصر وأن رسالته هنا هي بعينها رسالته هناك وكل مافي الأمر اختلاف طرائق التعبير . على أن مهمة أديبنا أشق من مهمة الأديب الغربي لأن الغربيين يعرفون لأديبهم قدره فيبسطون له في الرزق حتى ينصرف الى الانتاج الأدبي الصالح بينا ينكر المصريون أديبهم ويضيقون عليه الخناق وهم ان اعترفوا له بشيء فانما يكون هذا الاعتراف بعد أن يفارق هذه الدنيا. ولهذا دون شك أثره البالغ في خلق الأديب فهو اما أن يتزلف الى السلطات الحاكمة أو يترضى الأمراء والزعماء فاذا لم يستطع هذا أو ذاك أخذ يتملق الجمهور! ولا تهمني بالمبالغة فأمامك تاريخنا الأدبي الحديث فهو حافل بأسماء الأدباء - وأشباه الأدباء - الذين كانوا أقرب الى المتسولين منهم الى أي شيء آخر . والذين انحطوا بصناعة الشعر والنثر الى الدرك الأسفل حتى أصبح الأدب نوعاً من «البهلوانية» في التعبير فاذا ألحت عليهم الحقيقة اتخذوا في اذاعتها فنون اللف والدوران والمواربة ! وما أقل أولئك الذين عافت نفوسهم التمسح بأذيال السادة او التعلق بأردان الجماهير ! والأديب - بل وشبه الأديب - معذور لأن الجماعة لا تريد الا من يسليها ويدخل السرور عليها اما الذي يكشف لها عن المثل العليا ويظهرها على الفرق بين حاضرها وهذه المثل فهو ابغض الناس اليها !

والأديب المصري الذي يريد أن يؤدي رسالته على الوجه الأكمل يصطدم بعقبتين كلتاهما صعبة شديدة . فما بالك اذا علمت أنهما متآخيتان ، هاتان العقبتان هما « السياسة والتقاليد »

اما السياسة فقد طغت علينا وأفسدت مزاجنا الأدبي حتى اضطربت موازين النقد في ايدي الكتاب ورجال التعليم يجورون في احكامهم على الأدباء جوراً ظاهراً : والطلاب والقراء في حيرة ليس مثلها حيرة . واسرفت السياسة في طغيانها واشتدت جنايتها على الأدب حتى انصرف الأدباء الى السياسة وادركوا أن الشهرة الأدبية لن تأتيهم الا على حساب الشهرة السياسية !

والتقاليد امرها غريب حقاً فهي من محاربتها للادب والأدباء تتستر وراء الدين حيناً ووراء السياسة حيناً آخر . تظهر مرة وتختفي مرات . وويل للاديب الذي يتهم بالالحاد . وويل للاديب الذي يتهم بالخيانة . وويل للاديب الذي يتهم بالاباحية ! لو كان موظفاً طرد من وظيفته . ولو كان عالماً جرد من شهادته . ولو كان كاتباً حورب في صحيفته !

على ان الأديب ... وي هو الذي يصمد لهذا كله ويمضي في اذاعة رسالته مؤمناً بانتصاره . أو قل . بانتصار آثاره تدفعه الفكرة الالهية التي فيه . فاذا اعترف له ابناء عصره بفضله عليهم وعلى الأجيال المقبلة من بعدهم فذاك . والا فقد كتب اسمه في ثبت الخالدين . . .

وأدباء مصر في هذا الزمن هم «الطلائع» التي تتعرض للاخطار وتتلقى عن بقية الجيش السهام تتلوها السهام ؛ والطلقات تعقبها الطلقات . فعليهم أن يضربوا المثل الصالح لأبناء الجيل الجديد

واني لأعلم أن مهمة الأديب المصري في الجيل المقبل ستكون أسهل من مهمة اخيه في هذا الجيل لأن الأخير عليه الى جانب مهمته الأساسية مهمة اخرى هي « التمهيد » وتعبيد طرائق التعبير من نحت الفاظ . واصلاح الفاظ . ومن خلق قوالب ادبية لم يكن لهـا في تقاليد الأدب العربي وجود كالدرامة والشعر القصصي والمقال الاجتماعي وما يتطلبه هذا كله من التغيير في قواعد النظم والكتابة .

٭٭٭

وليذكر اولئك الذين يغرمون بتأليف المجامع اللغوية ان اصلاح اللغة لا يقوم به النحاة والعروضيون واصحاب الابحاث «الفيلولوجية» وانما يقوم به الأدباء والأدباء وحدهم لأنهم بطبيعة رسالتهم اقدر على ابتكار الألفاظ التي تتلاءم مع المعاني والأساليب التي تتفق والأغراض . ثم هم اقدر على اذاعة هذه الأساليب وتلك الألفاظ في الناس . ثم يأتي بعدهم اصحاب النحو والعروض وعلوم اللسان يستخرجون من آثارهم القواعد العامة ويرتبونها ويصنفونها ويضعون المطولات والقواميس فيها !

فليمض الأدباء المصريون - وهم قلة - في تحقيق الرسالة السامية التي وجدوا من اجلها والتي يعيشون لها . والتي يجب ان يموتوا في سبيلها كما يموت كل صاحب رسالة يؤمن برسالته ولكن عزاءهم خلود آثارهم ؛ واحر بالناس ان يقدروا الأديب الذي لا يعيش لنفسه وانما يعيش لهم ! . .

عبد الحميد يونس



العبقرية والقريحة
أو
شوقي وحافظ

بقلم احمد حسن الزيات

نجعة الشعر العربي في حافظ وشوقي يعز عليها الصبر، ويعوز منها العوض، ويصرف أساها الناقدين عن تقويم الميراث العزيز الى تعظيم الموروث الأعز. وليس مما يزكو بالمنصف أن يجشم نظره رؤية الحق من خلال الدموع، فان في ذلك اعتداء على العقل أو إساءة إلى العاطفة. وهذه الكلمة انما نستجيز ذكرها اليوم لأنها إلى الهتاف بالعظيمين أقرب منها إلى النقد، ولأن مايكتب عنهما الساعة إنما هو تقييد لعفو الرأي وتمهيد لأسباب الحكم الصحيح.

شوقي شاعر العبقرية وحافظ شاعر القريحة. وتقرير الفرق بين الموهبتين هو تقرير الفرق بين الرجلين. فالقريحة ملكة يملك بها صاحبها الابانة عن نفسه بأسلوب يقره الفن ويرضاه الذوق. ومن خصائصها الوضوح والاتساق والأناقة والسهولة والطبعية والدقة. أما العبقرية فضرب من الالهام يستمر استمراراً تجددياً فتلازم أحياناً وتنفك حيناً. ومن أخص صفاتها الأصالة والابداع والخلق. فالرجل العبقري إذن يعلو ثم يسفل تبعاً لقيام العبقرية به أو انفكاكها عنه. وهو يَنْشخبُ الشعر غالباً فيرسله من فيض الخاطر كما يجيء دون تنقيح له ولا تأنق فيه، ثم هو في عظام الأمور سباق وفي محاقرها متخلف، لأن الجليل يوقظ خاطره ويحفز طبعه والتافه الوضيع ينخزل عن مكانه فلا يبلغ موضع التأثير فيه وقد يعني لسبب من الأسباب بعامي الأشياء أو سوقي الآراء فيبعث فيه من روحه ما يحييه، ومن حرارته ما يقويه، ومن أشعته ما يظهر فيه الطرافة والجدة كما تظهر الشمس كرات التبر في عروق الصخور! فالقريحة كما ترى توجد الصورة والعبقرية تبدع المخلوق. ومزية الأولى في الصنعة وتقديرها في التفصيل، ومزية الأخرى في الابتكار وتقديرها في الجملة. فاذا قرأت قصيدة لذي القريحة راقك منها جرس الحروف ونغم الكلمات واتساق الجمل وبراعة البيت، ولكنك تفرغ منها وليس لها أثر في نفسك ولا صورة في ذهنك. أما العبقريات فحسبك أن تذكر عنوانها لتشعر بها، وتتصور موضوعها لتتأثر منها.

ذو القريحة يقول مايقول الناس، ولكنه يصوره بقوة ويؤديه بدقة وينسقه بذوق ويهذبه بفن، وذوو العبقرية على نقيضه. ينظر ويشعر ويفكر ويقدر على طريقته الخاصة. فاذا وضع خطة أو رسم صورة أو بحث فكرة أخرجها على طراز فذ فتحسبها مبتكرة وقد تكون مسبوقة، لأنه استطاع بقوة لحظه ولقانة طبعه أن يريك فروقا لم ترها، ويقفك على تفاصيل لم تتصورها، ويفجر لك النهر من حيث لم يستطع غيره أن يفجر الجدول. والرجل العادي ينظر بالعين فكأنه لسطحيته لم ير! والعبقري يرى باللمح فكأنه لزكانته لم ينظر!

على أن هناك فرصا للكمال تجتمع فيها على الوئام العبقرية والقريحة، فيسلم الفنان حينئذ من التفاوت القبيح بين إصعاده وإسفافه، أو بين جيده ورديئه. لأن العبقرية إذا غفت خلقتها القريحة، والقريحة إذا كبت سندتها العبقرية. على ذلك تستطيع أن تقول إن أبا نواس وأبا فراس والشريف من رجال القريحة وإن أبا تمام وأبا العتاهية والمتنبي من رجال العبقرية، وإن البحتري وابن الرومي ممن جمع في الكثير الغالب بين الموهبتين. وتستطيع

كذلك أن تعلل أمثال قول البحتري في أبي تمام: جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه؛ وقول الأصمعي في أبي العتاهية: إن شعره كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والخزف والنوى، وقول الثعالبي في المتنبي: كان كثير التفاوت في شعره فيجمع بين الدرة والآجرّة، ويتبع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء، وقولهم في ابن الرومي: إنه امتاز بتوليد المعنى واستقصائه وسلامة شعره على الطول

اخطرُ ببالك بعد ذلك حافظا تجد أول ما يبهرك منه لفظه المونق وأسلوبه المشرق وقافيته المروضة وصوره الأخاذة. فأما الروح والموضوع فأصداء منبعثة من الماضي في فردياته وآراء مقتبسة من الحاضر في اجتماعياته، فحافظ لم يستطع لضيق مضطربه وقصور خياله وضعف ثقافته أن يعنى بغير الشكل والصورة، وكانت هذه العناية من اليقظة والحرص بحيث لم تغفل عن خلل ولم تعي بصقال. فاذا تهيأ للشعر أو للنثر عمد الى الآراء التي تختلج حينئذ في النفوس وتستفيض في المجامع وتتردد في الصحف فيجمعها في باله ويديرها في خاطره ثم يكون همه بعد ذلك أن يصوغها فيحسن الصوغ ويسبكها فيجيد السبك، وتقرأ بعد ذلك أو تسمع فاذا نسق مطرد واسلوب سائغ وشيء كأنك سمعته من قبل ولكن عليه طابع حافظ ووسمه

وحافظ يتحمل من بناء القصيدة رهقاً شديداً، لأنه يلدها فكرة فكرة، ويبضها قطرة قطرة، ويتصيد المعاني فيقيدها في مفردات أو مقطوعات، فربما وقع له ختام القصيدة قبل مطلعها، وعثر على عجز البيت قبل صدره، ثم يعود فيرتب هذه الأبيات لأدنى ملابسة وأوهى صلة! وتجيء الصنعة البارعة فتخدعك عن الخلل بالطلاء، وعن التفكك بارتباط الأسلوب

ثم أخطرُ ببالك بعد ذلك شوقي تجده غير محدود بالصنعة ولا مقيد بالشكل، وإنما هو فيض يسخر بالحدود، ونور ينفذ من الستور، والهام يتصل باللانهاية، وشاعر كالمتنبي أو كهوجو يفتح مطلع القصيدة فكأنما يفتح لك باب السماء! فأنت من شوقي حيال شاعر روحه أقوى من فنه، وشعره أوسع من علمه، وحكمته أمتن من خلقه، وقدرته أكبر من استعداده، فلا تشك في أنه وسيط لروح خفية تقوده، ورسول لقوة إلهية تلهمه: ثم تفارقه حيناً تلك الروح وتفرق عنه هذه القوة فيعود رجلا أقل من الرجال، وشاعراً أضعف من الشعراء، فينظم في افتتاح الجامعة ومشروع القرش وما الى ذلك، فيأتي بما لا وزن له في النقد ولا مساغ له في الذوق!

وشوقي تحت وحي العبقرية يتنزل عليه الموضوع جملة، ثم يشغله عن تفاصيله التفكير في الغاية والتحديق في الغرض فيرسله من فيض الخاطر شعراً متسلسلا متصلا تضيق عن معانيه ألفاظه كما تضيق شطآن الرمل عن الفيضان الجائش المزبد.. ومن ثمَّ كان التجديد والتعقيد والتدفق والعمق من أقوى خصائص شوقي، كما كان التقليد والبساطة والكزازة والسطحية، من أبين خصائص حافظ.

وهنا نحجز القلم عن وجهه فلا نمعن في تحليل شاعرينا اليوم، فان لذلك إبانه ومكانه، ثم نرسل العين هتانة المسارب أسى على ماض طويل انقطع، ونغم جميل تبدد، وحلم لذيذ تقضى، وكاهنين من كهان عطارد طواهما الخلود، ثم ترك بعدهما رسالة الشعر عرضة للشعوذة والجمود.

احمد حسن الزيات

في تعدد الاوضاع

(بقية المنشور على ص ٩)

لاهوتي . ناسوتي
أنفسي . آفاقي
جوهر . عوض
ذاتي . موضوعي
فاعلي . مفعولي
شخصاني . شبحاني
خارجي . ذهني

ومن هذا نرى النقلة والمترجمين لا يرجعون في ماشجر بينهم الا الى انفسهم. ولا يستمدون الحكم في فصل الخلاف اللغوي الا من ذوقهم . والأذواق مختلفة، ولا تحكيم مع اختلاف المحكمين. والقراء حيارى بين هذا المترجم، وذاك الواضع. وفي تعدد الأوضاع . البلبلة والضياع. فلم يبق الا أن يتولى المجمع أمر الوضع، فيجمع الشتات ويرأب الصدع.

المغربي

حلقات الادب
فى الفسطاط

للاستاذ محمد عبد الله عنان

كانت مدينة الفسطاط منذ القرن الثانى للهجرة مركزاً للتفكير والآداب، يحج اليه كثير من أعلام المشرق . وكانت مصر قد أخذت تتبوأ مكانتها الفكرية والأدبية بين الأمم الاسلامية، منذ استقرت شئونها السياسية فى ظل الدولة العباسية . ولم تكن مصر منذ افتتحها الاسلام أكثر من ولاية تابعة للخلافة . ولكنها كانت بين ولايات الخلافة أشدها احتفاظاً بشخصيتها وألوانها القومية؛ وكانت منذ البداية تأخذ بنصيبها فى بناء صرح التفكير الاسلامى؛ ولكنها كانت تشق فى هذا الميدان طريقها الخاص . وكانت منذ الفتح مركزاً هاماً للسنة والرواية، يحتشد فيها جماعة كبيرة من الصحابة الذين اشتركوا فى الفتح والتابعين الذين عاصروهم [1] . وفى القرن الأول أيضا وضعت بذور الحركة الأدبية فنمت وأزهرت بسرعة، حتى أنه يمكن القول أن مصر كانت منذ القرن الثالث قد كونت أدبها العربى الخاص . ولم يأت القرن الرابع حتى كان هذا الأدب يتميز بخواصه المصرية القوية مما عداه من تراث التفكير العربى فى المشرق والأندلس .

وكانت الفسطاط عاصمة الاسلام فى مصر منذ قيامها عقب الفتح سنة ٢١ هـ (٦٤١ م) حتى منتصف القرن الرابع . وقد قامت بجوارها مدينتا العسكر والقطائع دهراً [2] . ولكن العسكر كانت مركزاً للامارة والادارة فقط، وكانت القطائع وهى مدينة بنى طولون مدينة بلاط فقط، أما الفسطاط فكانت قلب الاسلام النابض فى مصر، ومهد التفكير والآداب فى تلك العصور . وحتى بعد أن قامت القاهرة المعزية سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) لم تفقد الفسطاط أهميتها الفكرية والأدبية، بل لبثت بعد ذلك عصوراً تشتهر بحلقاتها ولياليها الأدبية . وكانت هذه الحلقات والليالى الأدبية من محاسن الفسطاط، يشيد بأهميتها وجمالها أدباء المشرق والمغرب الوافدين على مصر . وكانت فى الواقع نوعا من الأبهاء الأدبية Salons يجتمع فيها الأدباء والشعراء، للقراءة والسمر والجدل والمساجلة، وكانت مهاد اللقاء والتعارف بين الأدباء المحليين والنزلاء الوافدين من عواصم الاسلام الأخرى . وقد بدأت هذه الحلقات الأدبية فى الفسطاط منذ القرن الأول . ولكنها كانت فى بدايتها دينية فقهية، وكانت لها أهميتها فى تمحيص السنة والرواية . وكانت تجمع بين جماعة من أقطاب الفقهاء والحفاظ والمحدثين الذين يعتبرون فى الطبقة الأولى بين فقهاء الاسلام ورواة السنة؛ مثل يزيد بن حبيب، والليث بن سعد، وعبد الله بن وهب [1] ثم الشافعى وأصحابه . ثم اتخذت هذه الحلقات طابعاً أدبياً، فكان يمزج فيها بين الكلام والأدب، وكان معظم فقهاء هذا العصر أدباء أيضاً يأخذون من الأدب بحظ وافر، ولبعضهم فى النثر والشعر براعة خاصة . ونستطيع أن نذكر من هؤلاء الامام محمد بن ادريس الشافعى قطب الشريعة وحجة التشريع، فقد كان أيضاً أديباً مبرزاً له فى الشعر والنثر محاسن وروائع وكذلك آل عبد الحكم الذين نذكرهم بعد؛ وأبو بكر الحداد قاضى مصر؛ والحسن بن زولاق المؤرخ فقد كان هؤلاء جميعاً من كبار الفقهاء والأدباء . وكان الفقه والحديث والادب تمتزج معاً فى مجالسهم وأسمارهم .. ولعل أبهى حقبة فى هذه الحلقات الشهيرة فى تاريخ الفسطاط مستهل القرن الثالث الهجرى ففى ذلك الحين كان الامام الشافعى نزيل الفسطاط وكان مدى الأعوام التى قضاها بمصر منذ قدومه اليها فى أواخر سنة ١٩٨ هـ [2] (٨١٣م) حتى وفاته فى رجب سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩م) قطب الحركة الفكرية فيها وكعبة الصفوة من فقهائها وأدبائها يجذبهم اليه غزير علمه ورفيع أدبه، وبارع خلاله . وكانت حلقات الفسطاط الأدبية شهيرة قبل مقدمه ولكنه اسبغ عليها بهاء وسحرا وروعة وكان ابو تمام الطائى الشاعر الأكبر اذا صحت الرواية عن مقدمه الى مصر صبياً واشتغاله بسقى الماء فى المسجد الجامع يغشى هذه المجالس الأدبية فى حداثته وفيها تفتحت مواهبه الأدبية والشعرية والظاهر أنه كان طبقاً لهذه الرواية يقيم فى الفسطاط فى خاتمة القرن الثانى او فاتحة القرن الثالث أعنى فى نحو الوقت الذى كان فيه الشافعى نزيلها [3] . وكان أشهر هذه الحلقات أو الأبهاء حلقة بنى عبد الحكم، وهم أسرة مصرية نابهة كثيرة المال والوجاهة [4]

---

١ يفرد ابن عبد الحكم فصلا طويلا لذكر الصحابة الذين دخلوا مصر وروى أهل مصر عنهم (فتوح مصر وأخبارها ص ٢٤٨ وما بعدها)

٢ مدينة العسكر أقامها الجند العباسيون فى شمال الفسطاط سنة ١٣٣ هـ (٧٥٠ م) ومدينة القطائع أنشأها احمد بن طولون بجوار الفسطاط مما يلى الشمال أيضا سنة ٢٥٦ هـ (٨٧٠ م)

---

١ توفى يزيد بن حبيب سنة ١٢٨ هـ، والليث بن سعد سنة ١٧٥ هـ وعبد الله بن وهب سنة ١٩٧ هـ

٢ هذه هى رواية الكندى (امراء مصر ص ١٥٤) . ولكن ابن خلكان يقول إن مقدم الشافعى الى مصر كان فى أوائل سنة ١٩٩ (١ ص ٥٦٦) ورواية الكندى أرجح فى نظرنا

٣ راجع ابن خلكان فى ترجمة أبى تمام (١ ص ٣١٣)

٤ ابن خلكان فى ترجمة عبد الله بن عبد الحكم (١ ص ٣١٢)

أنجبت عدة من كبار الفقهاء. منهم عميد الأسرة عبدالله بن عبد الحكم المصرى، وهو من أقطاب الفقه المالكى وأولاده محمد وسعد ابنا عبد الحكم وكلاهما فقيه ومحدث كبير وعبد الرحمن بن عبدالحكم أقدم مؤرخ لمصر الاسلامية [١]. وقد كان بنو عبد الحكم منذ القرن الثانى أعلام الفقه والتفكير والأدب فى مدينة الفسطاط وكانت دارهم كعبة العلماء والأدباء ومنتدى للدراسات والأسمار الأدبية الرفيعة [١]، وكانت حلقاتهم العلمية والأدبية تجذب أكابر العلماء الوافدين على مصر من مختلف أنحاء العالم الاسلامى، فلما قدم الامام الشافعى الى مصر كان بنو عبد الحكم أول من استقبله وأكرم وفادته؛ وأمدته الأسرة النابهة بالمال ونظمت له سبل الاقامة والدرس؛ وكانت أول من انتفع بعلمه وأدبه [٢] وبث مقدم الشافعى فى آداب الفسطاط روحا جديدة واشتهرت مجالسه وحلقاته الفقهية والأدبية. وكانت حقبة علمية أدبية زاهرة (١٩٨ — ٢٠٤ هـ)

وكانت حلقات المسجد الجامع الى جانب الحلقات الخاصة، أشهر المجتمعات العلمية والأدبية العامة وكان المسجد الجامع أو جامع عمرو منذ انشائه سنة ٢١ هـ (٦٤١ م) قلب الفسطاط الفكرى وكانت تعقد فيه مجالس القضاء الأعلى كما كانت تعقد مجالس الفقه والأدب الخاصة. وصحن المسجد الجامع شهير فى تاريخ الفسطاط الأدبى وقد كان مدى قرون ندوة فكرية أدبية جامعة وكانت بين جدرانه توجه حركة التفكير والآداب فى مصر الاسلامية. ويبدو مما كتبه مؤرخو الفسطاط فى هذا العصر أن هذه الحلقات كانت دورية وكانت منظمة برغم صفتها الخاصة. وأنها كانت تعقد كل يوم تقريباً فى المسجد الجامع. ولكن الظاهر أن أهمها ما كان يعقد فى عصر يوم الجمعة؛ وأن مجالس الجمعة كانت تعتبر كموسم اسبوعى يغص المسجد فيه بجمهرة الفقهاء والأدباء والقراء والنظارة. وفيها كانت البحوث الكلامية. والمناظرات الأدبية. والمطارحات الشعرية والرواية التاريخية تنظم فى حلقات فرعية أو متعاقبة [٣]

وكانت هذه الحلقات الأدبية الشهيرة تتأثر بتطور السياسة والأهواء السياسية والدينية، اذ كانت موئل التفكير والدعوة الى مختلف المذاهب الفقهية والأدبية. ففى سنة ٢٢٦ هـ مثلا أمر محمد ابن أبى الليث قاضى قضاة مصر تنفيذاً لرغبة الخليفة الواثق بالله، بالقبض على جميع الفقهاء والمحدثين والأدباء باسم الامتحان فى مسألة خلق القرآن وهى المعروفة بالمحنة فملئت السجون بالمنكرين لخلقه من العلماء والأدباء، وأغلق المسجد الجامع فى وجه المالكية والشافعية، وفضت حلقاتهم العلمية والأدبية، ومنعوا من زيارة المسجد، ومن بث آرائهم ونظرياتهم [١] واخذ بنو عبد الحكم فوق أخذهم بالمحنة بتهمة أخرى، هى تبديد أموال طائلة ائتمنوا عليها من على بن عبد العزيز الجروى، وهو زعيم خارج تغلب حينا على بعض نواحى مصر ثم أخمدت ثورته، واتهم بالخيانة، وقضى بمصادرة أمواله، فاتهم باخفائها بنو عبد الحكم، وقبض عليهم وعذبوا واستصفيت أموالهم أداء لما قضى به وتوفى بعضهم فى السجن (سنة ٢٣٧ هـ) ثم أفرج عنهم بعد ذلك، ولكن هذه المحنة ذهبت بوجاهة الأسرة النابهة وجاهها وهيبتها [٢] فاضمحل نفوذ هذه الفكرة وتضاءلت أهمية هذه الحلقات الأدبية الباهرة التى اشتهرت بتنظيمها وعقدها زهاء نصف قرن. وفى نفس هذا العام أمر الحارث بن مسكين قاضى القضاة بمطاردة الفقهاء الحنفية والشافعية واخراجهم من المسجد الجامع وقطع أرزاقهم وحظر اجتماعاتهم [٣]

وهكذا شتت شمل المجتمع الفكرى فى الفسطاط حينا وانزوت حلقاتها الأدبية الزاهرة حتى منتصف القرن الثالث ولكنها عادت فانتظمت وازدهرت واستعاد المسجد الجامع هدوءه وسكينته وردت حرية الاجتماع والدرس. وجاءت الدولة الطولونية (٢٥٤ — ٢٩٢ هـ) (٨٦٨ - ٩٠٥ م) فأزهرت فى ظلها الآداب والفنون وكان أحمد بن طولون أميراً مستنيراً يحب العلوم والآداب ويرعاها بتعضيده وحمايته، ويجل مجالس العلم وحلقات الأدب [٤]. وكانت الفسطاط ومسجدها الجامع أيضا مثوى الحلقات والمجالس العلمية والأدبية فى هذا العصر؛ لأن مدينة القطائع التى شيدها ابن طولون لم تكن كما قدمنا سوى مدينة بلاط وبطانة. ونبغ فى هذه الحقبة القصيرة عدد كبير من الأدباء والشعراء. وبكت دولة الشعر، دولة بنى طولون عند ذهابها أيما بكاء. فقال شاعرها سعيد القاص من قصيدة طويلة رائعة :-

١ توفى عبد الله بن عبد الحكم سنة ٢١٤ هـ وتوفى ولده عبدالرحمن سنة ٢٥٧ هـ وابنه محمد سنة ٢٦٩ هـ

٢ ابن خلكان (١ ص ٣١٢)

٣ راجع فى الاشارة الى حلقات عصر الجمعة بالمسجد الجامع — ابن زولاق فى كتاب أخبار سيبويه المصرى (الصورة الفوتوغرافية للمخطوط المحفوظ بمعرض دار الكتب وهى رقم ٤١٢٠ تاريخ) ص ١٣ و ١٤ و ١٦ و ١٧

١ الكندى تسمية قضاة مصر — ص ١٢٧

٢ الكندى — كتاب القضاة — ص ١٣٧ و ١٣٨

٣ « « « — ص ١٢٢

٤ ابن خلكان - ١ ص ٦٩

طوى زينة الدنيا ومصباح أهلها
بفقد بنى طولون والانجم الزهر
وفقد بنى طولون فى كل موطن
أمر على الاسلام فقدا من القطر
تذكرتهم لمـــا مضوا فتتابعوا
كما ارفض سلك من جمان ومن شذر
فمن يبك شيئا ضاع من بعد أهله
لفقدهم فليبك حزنا على مصر
ليبك بنى طولون اذ بان عصرهم
فبورك من دهر وبورك من عصر

وفى أوائل القرن الرابع كانت الفسطاط تضم جماعة كبيرة من أقطاب المفكرين والأدباء، وكانت ابهاؤها ومجالسها الأدبية حافلة زاهرة. ففى تلك الفكرة اجتمع من زعماء التفكير والأدب أبو القاسم بن قديد وتلميذه أبو عمر الكنـــدى مؤرخ الولاة والقضاة، وأبو جعفر النحاس المصرى الكاتب والشـــاعر، وأبو بكر الحداد قاضى مصر، وأبو القاسم بن طباطبا الحسينى الشاعر، وأبو بكر بن محمد بن موسى الملقب بسيبويه المصرى، والحسن بن زولاق المؤرخ الأشهر[1] وكثيرون غيرهم؛ فكان لاجتماع هذه الصفوة العلمية والأدبية البارزة فى هذه الفترة أثر كبير فى ازدهار الحركة الفكرية بمصر فى أوائل القرن الرابع. فكانت حلقات الأدب فى أوج نشاطها وكان المسجد الجامع يومئذ جامعة حقة يموج بهذه الاجتماعات العلمية والأدبية الشهيرة. وكانت دولة التفكير والأدب فى بغداد قد أخذت فى الضعف والاضمحلال وأخذت مصر تتأهب للقيام بدورها فى رعاية التفكير الاسلامى فى المشرق وكان بنو الاخشيد، محمد بن طغج وولداه انوجور وعلى ثم وزيرهم الخصى النابه كافور، مدى دولتهم التى استمرت زهاء ثلث قرن (سنة ٣٢٤ — ٣٥٨ ﻫ) (٩٣٥ — ٩٦٩ م) حماة للعلوم والآداب. وقد انتهى الينا من آثار الحسن بن زولاق المؤرخ، أثر هام يلقى ضياء على تاريخ الحركة الأدبية المصرية فى هذا العصر وهو كتاب «أخبار سيبويه المصرى»، وهو أبو بكر بن موسى الذى سبقت الاشارة اليه وقد كان صديقا لابن زولاق وزميلا له فى الدرس على ابن الحداد.[2] وكانت له أخبار وملح ونوادر أدبية طريفة عنى ابن زولاق بجمعها فى هذا الكتاب. وفى دار الكتب نسخة خطية وحيدة من هذا الأثر لاريب أنها من أقدم المخطوطات العربية التى وصلت الينا بل لقد انتهينا فى تحقيق شأنها الى انها أقدم مخطوط أدبى مصرى وصل الينا وأنها من آثار عصر الفسطاط ذاته وبخط ابن زولاق نفسه[1].

وفى اثر ابن زولاق هذا اشارات كثيرة الى حلقات الفسطاط الأدبية فى عصره أعنى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى. ويبدو من سياق كلامه ان المسجد الجامع كان مثوى لأهم هذه الحلقات وأشهرها وأنها كانت كما قدمنا دورية منتظمة تعقد على الأغلب فى عصر يوم الجمعة وتجمع بين الفقهاء والأدباء. وينعقد فيها الجدل الكلامى والحوار الأدبى والشهرى. والظاهر أيضاً أن هذا الجدل أو الحوار كان ينتهى أحياناً الى بعض ما ينتهى اليه فى عصرنا من مرارة واتهام وتراشق وان بعض المفكرين الأحرار كانوا ينقمون من عصرهم ما تنقم من عصرنا أحيانا من اعتداء على حرية الرأى والبحث وأن بعضهم كان يرمى بتهم المروق والالحاد اذا أطلق لنفسه حرية البحث والرأى على نحو ما يشير اليه سيبويه المصرى فى قوله من قصيدة أوردها ابن زولاق

اما سـبيل اطراح العلم فهو على
ذى اللب أعظم من ضرب على الراس
فان سلكت ســبيل العلم تطلبه
بالبحث أبت بتفكير من الناس
وان طلبت بلا بحث ولا نظر
لم تضح منه على ايقان ايـنـــاس
وانبذ مقالة من ينهاك عن نظر
نبذ الطبيب بذل القرحة الآسى[2]

وهذه ظاهرة فكرية خطيرة يسجلها الشاعر المصرى على عصره اعنى أوائل القرن الرابع (حول سنة ٣٢٠ — ٣٤٠ ﻫ) وهى تدل على أن الجدل العلمى والأدبى كان يرتفع يومئذ الى مرتبة الايمان والعقيدة أحيانا وينحدر أحيانا أخرى الى درك التراشق والمهاترة. كذلك هنالك فى قول الشاعر ما يدل على أن بعض

---

١ توفى ابن قديد سنة ٣١٢ ﻫ وأبو عمر الكندى سنة ٣٥٠ ﻫ وأبو جعفر النحاس سنة ٣٣٨ ﻫ وأبو بكر الحداد سنة ٣٤٥ ﻫ وابن طباطبا الحسينى سنة ٣٤٥ ﻫ وسيبويه المصرى سنة ٣٥٨ ﻫ والحسن بن زولاق سنة ٣٨٧ ﻫ

٢ راجع السيوطى — حسن المحاضرة — ج ١ ص. ٢٥٤ وراجع بحثى عن الحسن بن زولاق فى ملحق السياسة الادبى عددى (٢٨٤٦ و ٢٩٠٦)

١ راجع تحقيقا مستفيضا .ت به فى شأن هذا المخطوط مؤيدا بالوثائق والادلة الخطية والتاريخيه وقد نشر مع صور فتوغرافية لهذه الوثائق فى ملحق السياسة الادبى عدد ٢٧٨٥.

٢ راجع هذه القصيدة بأكملها فى كتاب أخبار سيبويه (ص ٩ من المخطوط وما بعدها) واعتقد ان فى هذه الابيات تحريفا يرجع الى صعوبة القراءة نظرا لقدم المخطوط وتخريمه فى مواضع كثيرة. ولكن معانيها ظاهرة متناسقة

المفكرين والأدباء كانوا يؤثرون الصمت على الجهر بآرائهم خيفة الاتهام والوقيعة .

وقد كانت حلقات المسجد الجامع بلا ريب أهم الحلقات الأدبية العامة ولكن هناك فى أقوال ابن زولاق ما يدل على أنها كانت تعقد أيضا فى بعض المساجد الأخرى . فمثلا كان الشاعر الأكبر أبو الطيب المتنبى الذى وفد على مصر سنة ٣٤٦هـ (٩٥٧م) ليستظل بحماية بنى الأخشيد يجلس فى مسجد يعرف بمسجد ابن عمروس وهناك يجتمع اليه الأدباء والشعراء ؛ وكانت حلقة المتنبى بلا ريب من أهم مجالس الشعر والأدب والفلسفة فى هذا العصر[١] هذا وأما عن الحلقات والابهاء الخاصة فيشير ابن زولاق الى المجالس العلمية والأدبية التى كان يعقدها محمد بن طغج (الأخشيد) وولده أنوجور[٢] ثم مجالس الوزيرين ابن الفضل جعفر بن الفرات والحسين بن محمد المادرانى[٣] . والظاهر أن هذه المجالس والحلقات الأدبية كانت يومئذ من تقاليد الحياة الرفيعة وكانت نوعا من الترف الذى يأخذ به الأمراء والعظماء والأسر الكبيرة فان لهم جميعاً على نحو ما بينا فى سير الأبهاء الأدبية فى تلك العصور أكبر نصيب وذكر ، ويرجع اليهم فى أقامتها ورعايتها أكبر الفضل .

للبحث بقية — محمد عبد الله عنان

١ راجع ص ٤٨ و ٤٩

٢ ص ٣٦ من المخطوط

٣ ص ٣٣ و ٤٠ من المخطوط

أثر الثقافة العربية

« بقية المنشور على ص ٨ »

واخضعت لسلطانها حضارات لم تخضع لفاتح من قبل . وسخرت لدعايتها خصوماً لم يتحرزوا من آثارها بعد .

ولو رحنا نتلمس أسرار هذه القوة وأسباب تلك العظمة وجدناها أولا فى الهام الطبع وسلامة الفطرة وجاذبية المثل الأعلى وثانياً فى القابلية الطبيعية لفقه الحضارة ، وهى صفة لا تكتسب عفو الخاطر ولا طوع التقليد . وانما تتأصل فى الشعب بتقادم عهده فى الثقافة وطول رياضته على التمدن . فالعرب لم يكونوا جميعاً كما يصورهم الأدب القديم جفاة الطباع بداة الاجتماع . وانما كان منهم فى اليمن والحجاز والشام والعراق متحضرون لابسوا أرقى أمم العالم بالتجارة منذ ألفى سنة ، وكان لهم قبل الاسلام ثقافة أدبية ومدنية لغوية لم يكن من المعقول أن تظهرا فى التاريخ فجاة . فان تطور الأفراد والشعوب والأنظمة والعقائد تدريجى بطىء لا يبلغ كماله الا حالا على حال ودرجة بعد درجة . والحق أن الأخبار والآثار والعقل تتناصر كلها على اثبات حضارة عربية فى المدن الجاهلية . واذا كان بدو الجزيرة هم الذين انتجوا الشعر وفتحوا الفتوح فان حضر الحجاز هم الذين حكموا الناس ونشروا المعرفة وأقاموا الحضارة .

(لها بقية)

من طرائف الشعر

السكران

الفأس والشجرة

للدكتور محمد عوض محمد

كانت الفأس قطعة من حديد
وحدها لا تطيق حزاً وقطعاً
فرأت دوحة فقالت : « هبيني
بالك الخير ! من فروعك فرعا ! »
امنحيني يداً ، تشــدى بها از
رى فأزداد فى البرية نفعاً
لحبتها فرعاً متينــاً . وظنت
أنها أحسنت بذلك صنعاً !

°°°

باتت الفأس بعدها ذات حول
يصدع الصخر والجنادل صدعا
وتناست أنى لهـا ذلك الحول
لجاءت لدوحة الأمس تسعى . !
أن هوت نحوها بقسوة ذى غل
وحقـد كأنه حقـد افعى
ضربتهـا ضربات طالب ثأر
فهوت للثرى : فروعاً وجذعا ! !

وهى الحياة

أوجهكَ هذا الكونُ ياحُسْنُ كله
وجوهٌ يفيض البشرُ من قسماتها
وتستعرضُ الدنيا غريبَ فنونها
وتعرب عن نجواكَ شتّى لغاتها
ولولاكَ ماجاش الدجى بهمومها
ولا افترَّ ثغر الصبح عن بسماتها !
ولا سعدتْ بالوهم فى عالم المنى
ولا شقيتْ بالحبُ بين لِداتها !
ولا حَيّتْ الفنّانَ إلهـامَ فنّه
ولا رُزِقَ الابداعَ من نفحاتها
فوا أسفا يا حسن للّحظة التى
تطيش لها الأحلام من وثباتها !
وواأسـفا ياحسن للّحظة التى
يعزُّ على الأوهام جمع شتاتها !
وماهى إلا الصمت والبرد والدُّجى
ودنيا يشيع الموت فى جنباتها !
فضـاء تضجّ الريح من ظلماته
وتفزع فيه البوم من صرخاتها
وتنتثر الأزهار من عذباتهـــا
وتَعْرَى الغصون النُّضْر من ورقاتها
ويغشى السماء الجهمُ من كل ديمةٍ
تخدِّد وجه الأرض من عبراتها
هنالك لا الدنيا ولا البهجة التى
عرَفتَ ، ولا الأيام فى ضحكاتها!
ولكن رؤى النفس التى كنت حبها
ونافثَ هـذا السحر فى كلماتها
مضت غير شعرٍ أودعت فيه وحيَها
إليك فخذ ياحُسْن وحىَ حياتها !

على محمود المهندس



صفحات من الشعر الهندى

- ١ -

من ديوان رسالة الشرق

لشاعر الهند العظيم محمد إقبال

بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام
المدرس بكلية الآداب

محمد اقبال هو شاعر الهند العظيم ، وأكبر شعراء الاسلام فى عصرنا . درس الفلسفة فى انجلترا وألمانيا وتزود من الفلسفة القديمة والحديثة ما شاء له الذكاء والاجتهاد ، وعلم الفلسفة فى جامعات الهند سنين كثيرة . وهو اليوم قائد من قادة الأفكار فى الهند .

وله من الشعر دواوين محدة بلغ فيها الغاية . نظم واحداً منها باللغة الأردية وسماه « بانك درا » أى صلصلة الجرس . ونظم خمسة بالفارسية وهى :

« زبور العجم » ، « واسرار خودى » ، « ورموز بى خودى » (اسرار الذاتية ورموز اللاذاتية) ، « ويام مشرق » (رسالة المشرق) وقدجعله جواباً للقصائد المشرقية التى نظمها الشاعر الألمانى جوته . وآخرها « جاويدنامه » (الكتاب الخالد)

والقطع المترجمة هنا مأخوذة من « پيام مشرق »

الحياة :

بكى سحاب الربيع فى جنح الليل فقال :
ان هذى الحياة بكاء مستمر !
فتلألأ البرق الخاطف أن « قد غلطت . انها لمحة من الضحك !.» ليت شعرى من أخبر البستان بهذا ، فهو حديث مستمر بين الندى والورد .؟!

الله والانسان :

الله

خلقتُ العالم من ماء واحد وطينه واحده ، فخلقتَ أنت الفرس والتتار والزنج . خلقت من التراب الحديد ، فخلقت أنت السيوف والسهام والمدافع ، وخلقتَ الفأس لأغصان الشجر والقفص للطائر الغرِّيد .

الانسان

خلقتَ الليل فخلقتُ المصباح . وخلقتَ الطين فخلقتُ الآنية : خلقتَ الصحارى والجبال والرُّبى فخلقتُ الجنات وحدائق الورد والطرق المشجرة .

أنا الذى صنع المرآة من الحجر ! .
وأنا الذى صنع الدواء من السم ! .

اليراعة :

سمعت اليراعة تقول : لستُ كالنملة ينال الناس أذاها . ولست كالفراشة ، فانى أشتغل ولا أحمل منةً لأحد . إذا صار الليل أشد حلكا من عين الظبى أنرت بنفسى لنفسى الطريق !! .

الحقيقة :

قال العقاب بعيدة الرأى للعنقاء : ان الذى يراه ناظرى سراب !
فأجاب ذلك الطائر : أنت ترين . ولكنى أعلم أنه ماء .
فارتفع صوت السمكة من لجة البحر : أجل يوجد شىء وهو فى هياج واضطراب ! ! . .

الحكمة والشعر :

ضل أبو على [1] فى غبار الناقة ، وأخذت يد الرومى [2]

---

(١) ابن سينا (٢) جلال الدين الرومى الشاعر الصوفى الكبير

بستر المحمل !

هذا غاص حتى ظفر بالجواهر ، وذاك دار مع الغثاء على وجه الماء .

الحق إن لم تكن فيه حرقة فهو حكمة . وإنما يصير شعراً حين يقتبس من نار القلب !..

الوحدة :

ذهبت الى البحر فقلت للموج المصطخب : أنت فى طلب دائم فما خطبك ؟ فى جيبك آلاف اللآلئ ، فهل فى صدرك كما فى صدرى ، جوهر من القلب ؟!.

فاضطرب وجزر عن الشاطئ ، ولم يحر جوابا !.

ذهبت الى الجبل فسألت ما هذا القرار ؟ ألا ينال مسمعك آهات المحزونين وصيحاتهم ؟! إن يكن العقيق فى أحجارك قطرات من الدم فحدثنى فانى مُرَزَّأ .

فانقبض وصمت ولم يحر جوابا !.

قطعت طريقا سحيقا وسألت القمر : يا جوّاب الآفاق ! هل قدر لك منزل لم يوجد ؟ العالم من شعاع وجهك حديقة من الياسمين . فهل نور شامتك من تجلى قلب لا يوجد ؟

فرأى رقباء بين الأنجم ولم يحر جوابا !.

تخطيت القمر والشمس وصرت الى حضرة الخالق . قلت ليس فى عالمك ذرة واحدة تعرفنى ! العالم خلو من القلب ، وأنا ، هذه القبضة من التراب كلها قلب !. المرج جميل ، ولكنه ليس كفء نغماتى .

فتبسم ولم يحر جوابا !.

الحور والشاعر .

جواب منظومة جوته (المسماة الحور والشاعر)

الحور :

لا ترغب فى الخمر ولا ترفع بصرك الىّ . عجيب أنك لا تعرف طرائق الصحبة !

هذه الأنفاس التى تصهرها والغزل الذى تغنى به كلها نغمة الطلب وكلها حرقة الأمل .

أى عالم من الجمال خلقتَ بألحانك ؟ فهذه إرم تلوح لى كطلسم من السيمياء .

الشاعر :

تخدعن قلوب السائرين بكلام لاذع ، ولكن لذته لا تبلغ وخزة الشوك ! ماذا أصنع ؟ ان فطرتى لا تسكن الى المقام وان له اقلباً قلقاً كالصبا بين الحدائق !

كما اطمأن ناظر الى وجه جميل خفق قلبى وراء وجه أجمل

إنى أريد من الشرر نجماً ، ومن النجم شمساً . لا أبغى منزلا فان موتى أن أقرّ . كما تناولت قدحا من حميا الربيع ثمت فأنشدت غزلا آخر مشوقا الى ربيع جديد . انما أطلب غاية الذى لا غاية له بعين لا تصبر ، وقلب دائم الرجاء . تموت قلوب العشاق بجنة الخلد لا بألحان الألم والغم ، والمواساة .

نسيم الصبح :

آتى من صفحات البحار وقمم الجبال ، ولكنى لست أدرى من أين أهب !.

أبلغ الطائر المحزون رسالة الربيع . وأنثر فى منزله فضة الياسمين .

وأتقلب فى المرج ، والتف على أغصان الشقائق ، فأبعث من مسامها اللون والرائحة . وأتعلق رفيقا رفيقا بأوراق الورد والزهر حتى لا تنوء أغصانها بجولانى !.

واذا رأيت شاعرا هاجه غم العشق خلطت بنغماته نفسا بعد نفس .

الصقر والسمكة :

قالت سمكة صغيرة لفرخ الصقر :

ان كل ما ترى من سلاسل الأمواج هو البحر . فيه وحوش أشد زمجرة من الرعد القاصف . وفيه صنوف الأهوال ظاهرة وخفية . وفيه السيول جائشة تقلع الصخور ، وتغشى كل شيء . وفيه جواهر متلألئة ولآلئ نيرة . وليس الى الخروج منه سبيل ! هو فوقنا وتحتنا وفى كل مكان . هو أبد الدهر فى مائج متلاطم . لا يناله من دوران الأيام زيادة ولا نقص .

اتقد وجه السمكة بحرقة الحماسة . فضحك فرخ الصقر ، وارتفع من الساحل الى الدوح وصاح : أنا الصقر فمالى وللأرض ؟ ان الصحارى ، وهى بحار ، تحت أجنحتنا . دع الماء ، وتعود سعة الهواء . حكمة لا تدركها الا العين البصيرة .

العشق :

هذه الكلمة الآخذة بالقلوب ، والتي هي سر وليست بسر .

أنا أخبرك من سمعها وأين سمعها ؟

استرقها الندى من السماء فأوحاها الى الورد ، وسمعها عن الورد البلبل [1] ، ونشتها عن البلبل ريح الصبا

صحراء [2]

(نغمة حادى الحجاز)

يا ناقتى الخطارة وظبيتى المطارة
وعدتى والشارة [3]
والمال والتجارة ودولتى السيارة
حثى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

جميلة الرواء مطربة الرغاء
محسودة الحوراء وغيرة الحسناء
بثنية الصحراء !
حثى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

كم غصت في السراب في وقدة اليباب
وسرت لم تهابى في الليل كالشهاب
والنوم عنك نابى
حثى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

قطعة غيم غادى سفينة الرواد
كالخضر في البوادي تمضين في سداد
فلذة قلب الحادى !
حثى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

حرقتك الزمام وسيرتك الأنغام
يتعبك نتقام لا الجوع والأوام
والسفر المدام

حثى الخطى قليلا منزلنا قريب

* * *

مسبية في اليمن مصبحة في قرن
رهين حزن الوطن كالحر تحت الثمن
أيه غزال الختن ! [1]
حثى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

بدر السماء نعسا خلف التلال خنسا
والصبح قد تنفسا مزق هذا الغلسا
والريح تزجى نفسا
حثى الخطى قليلا منزلنا قريب !

* * *

لحنى دواء السقم والروح مل نغمى
يحدو الركاب كلى من جارح وبلسم
هلم بنت الحرم !
حثى الخطى قليلا منزلنا قريب !

(١) عشق البلبل للورد يضرب به المثل عند الفرس

(٢) تذكر هذه القطعة بأرجوزة أبي العلاء المعرى التى قالها على لسان سائق الحاج . ومطلعها : دنياك تحدو بالسائر والنجم جالها .

(٣) الشارة الزينة والرواء

(١) بلاد مشهورة عند الفرس بظبائها ومسكها



الشاعر المحتضر

قصيدة من عبقريات لامرتين

ترجمها وأهداها إلى روح شوقى

احمد حسن الزيات

تحطمت كأس عمرى وهى مُترعة، وتصرمت حياتى زفرات فى كل نَفَس، ونَعىَّ بامسا كما ما أرسلت من عبرات وحسرات، وقرع الموت بجناحه الناقوس الباكى علىَّ مؤذناً بساعتى الأخيرة، فليت شعرى أنوح أم أغنى ؟؟!.

* * *

لأغنَّ مادامت أناملى لا تزال على القيثار، لأغن مادامت المنون تلهمنى. وأنا على باب الآخرة ماتلهم البجعة من صرخة موزونة وأنة ملحونة، وإذا لم تكن النفس شيئاً غير الحب والألم فلم لا يكون وداعها لحناً قدسياً ؟؟!.

* * *

ان القيثار يبعث أجمل أنغامه حين ينكسر، والمصباح يرسل أبهى أضوائه حين يخمد، والبجعة ترفع طرفها الى السماء حين تسلم الروح، والانسان وحده يرجع البصر إلى الوراء ليعد أيامه ويبكيها!!

وما هذه الأيام التى تستدر حوالب عينيه؟؟ شمس تشرق متقطعة، وساعات تمر متشابهة، وخير تمنحه ساعة فتسلبه أخرى، ثم عمل يتلوه راحة، وألم يتبعه أحياناً حلم! ذلك هو اليوم، ثم يمحو آيته الليل!

* * *

ليبك ذلك الذى أشتد على حطام الدنيا حرصه، وتعلق بأمانيها سببه، ثم يرى حبل مستقبله يَنبَتّ. وظل آماله يتقلص! أما أنا فأترك الدنيا فى سهولة ويسر لأن جذورى منها كجذور النبتة الرخوة من الأرض، تهب عليها رياح المساء فتقلعها!

* * *

الشاعر أشبه شىء بالطيور العوابر. لا تعشش على الضفاف ولا تقع على غصون الغاب. وانما تهدهد نفسها على متون الموج، ثم تمر مغردة على بعد من الشاطىء. فلا يعرف الناس من أمرها، غير مايسمعون من صوتها!

* * *

أبداً لم تدرب يدى على الوتر الرنان يد مخلوق: لأن ماتلهمه روح الله لا تُعلِّمه يد انسان. فالجدول لا يتعلم كيفُ يجرى فى المنحدر، والنسر لا يتعلم كيف يشق بجناحيه الهواء، والنحلة لا تتعلم كيف تؤلف العسل!

* * *

الناقوس تقرعه القوارع فى مكانه العالى ليوم بشرى أو يوم نعى، فينوح مرة ويشدو مرة، وانا كنت بهذا الناقوس أشبه! طهرنى الألم كما طهره اللهب، وحركت الأوتار المختلفة أوتار قلبى فأخرجت لكل عاطفة نغمة!

* * *

أنا كالقيثارة (الايولية)(١) تعزف طول الليل من تلقاء نفسها على خطرات النسيم، وتمزج خرير المياه بأنينها الرخيم،

---

(١) نسبة الى ايول (Eole) وهو فى اساطير اليونان والرومان اله الهواء. وابن جوبتير. وهذا الضرب من القيثارات ينصب فى الهواء فيعزف وحده على هبوبه

فيقف السائر حيران دهشاً مما يسمع ! يطرب ويعجب ولا يدرى مصدر هذه الزفرات المقدسة !

* * *

قيثارتى تخضل غالباً بالدموع ! وما الدموع للمرء إلا كندى السماء للأرض ! وهيهات أن ينضج القلب تحت السماء الصافية ! فالكأس المصنوعة يسيل منها عصير الكروم، والريحان الذابل إذا وطئته قدماك، تضوّع شذاه بين خطاك !

* * *

خلق الله نفسى من نغمة محرقة، فمن يتصل بها يحترق بلهبها ! فياعجباً لمنحة القدر !! أنا أسرفت فى الحب ومن ذلك الاسراف أموت ! ما لمست شيئاً قط إلا حال إلى رماد ! كذلك رجوم السماء الساقطة على أشجار الخلنج، تنطفىء بعد أن تدمر كل شىء !

* * *

ولكن العمر ! لقد استوفى اجله .. والمجد ! آه ! وما يعنينى من صدى نغمة باطلة تنتقل من عصر إلى عصر، وسمعة كاللعبة البراقة تنحدر من جيل إلى جيل ؟ ! أيها الذين وعدهم المجد سلطان الغد ! استمعوا إلى هذا اللحن الذى يخرج من قيثارتى ! هل تجدون لرنينه أثراً فى الآذان، بعد ما حمله الهواء الى غير هذا المكان ؟ !

* * *

شهد الله أنى منذ حييت لم أذكر هذا الاسم العظيم الا بازدراء، ولطالما عصرت هذه الكلمة التى اخترعها هذيان الانسان فلم أجد غير هواء، هنالك لفظتها كما تلفظ الشفتان قشرة يابسة.

* * *

فى سبيل هذا الأمل الخالب، فى هذا المجد الكاذب. يرمى الانسان فى مجرى الزمن اسمه وهو عابر، فيتلقفه التيار، وتضعفه الأيام كلما سار، حتى يصير حطاماً تعبث به أمواج الدهر، ثم تحمله على غواربها من عصر إلى عصر، حتى تلقى به فى لجج النسيان !

* * *

أنا كذلك ألقى اسمى بين هذه الأسماء العائمة، على هذه الأمواج المتلاطمة، ثم اتركه على هوى الرياح والأمطار يطفو ويرسب ! فهل يكون بذلك شأنى أعظم ومقامى أرفع ؟ ولماذا وكل ماهنالك اسم ؟ ! وهل تسأل البجعة الطائرة فى جو السماء اذا كان ظلها لا يزال طافياً على أديم هذه الغبراء ؟!

تسألنى لماذا كنت أغنى (١) ؟ سل البلبل لماذا تتجاوب أغاريده وأناشيد الجدول طول الليل ؟ ! أنا أنشد ياصحابى كما يتنفس الانسان، ويشدو العصفور، ويعزف الهواء، ويخر الماء !

* * *

الحب والدعاء والغناء ثلاث تقسمن كل حياتى ! .. ولم آس ساعة الموت على فائت مما يتشوف اليه الناس فى دنياهم إلا على زفرة حارة تتصعد الى الله، وسكرة طروبة تهبط من القيثار، وصمتة عاشقة تعمق حين يتعانق قلب وقلب !

* * *

إن مثولك خاشعاً أمام الجمال تسمع رجفان أوتار المزهر، وترى حديث الهوى يمتزج مع أنغامه ويسرى فى حشاك، وتستقطر الدموع من العين المعبودة كما يستقطر النسيم انداء الفجر من الزهرة المطلولة . . .

* * *

وترى طرفها الشاكى يتصعد حزيناً فى السماء كأنما يطير مع النغم، ثم يرتد واقعاً عليك وهو بالحرارة العفيفة يجيش، وتبصر من خلال أهدابها المسبلة شعاع نفسها كالنار المضطربة فى حلك الليل البهيم . . .

* * *

وترى ظلال أفكارها على جبينها الزاهر ترف، والكلام على شفتيها المثقلتين يموت، ثم تسمع بعد هذا الصمت الطويل هذه الكلمة ترن حتى تبلغ أذن الجوزاء ! هذه الكلمة كلمة الآلهة والناس هى : « انى أحبك ! »

ذلك هو الذى يساوى فى الحياة زفرة ! !

---

(١) يريد بالغناء الشعر

* * *

زفرة ! ! حسرة ! ! كلام لا معنى له !

على جناح الموت، روحي تطير الى السماء ! تطير الى حيث ترى العين شعاع الأمل يضيء ! تطير الى حيث طارت النغمة التي خرجت من مزهري ! تطير الى حيث صعدت جميع زفراتي !

الايمان — وهو عين الروح — قد اخترق ظلماتي كما تخترق عين العصفور ماوراء الظلال الحزينة . ثم باحت لي غريزته النبوية بما استتر من حظي ! وكم مرة اقتحمت نفسي آفاق المستقبل حتى بلغت السماء محمولة على أجنحة اللهب . فتقدمت بذلك الموت !

لا تنقشوا اسمي على قبري الكئيب العابس ، ولا تثقلوا بالبناء ظلي الخفيف ، إن قليلا من الرمل يكفيني ! لست واأسفاه حريصاً ولا غيوراً ! ثم لا تتركوا من الفراغ أمام القبر إلا مقدار مايضع الزائر العابر ركبتيه !

حطموا هذا المزهر وذرّوا حطامه في الهواء والماء واللهب فانه لم يجاوب أهازيج النفس إلا بنغمة واحدة ! ان مزهر الساروفين (١) يرتجف تحت أناملي ! وعما قليل أعيش معهم في عالم النغمات ، وأقود بقيثارتي ألحان السموات !

وعما قليل ! ! ان يد الموت الثقيلة قد قطعت الوتر !

انقطع بعد أن أرسل في أمواج الهواء ، نغمة شاكية صماء . صمت مزهري البارد يارفاقي ! خذوا مزاهركم ، وأدخلوا نفسي عالم البقاء ، بين خفق الأوتار وترجيع الغناء ! . .

(١) الساروفين : طائفة من الملائكة

العراق كما رأيته

كتاب تحت الطبع سننشر منه فصولا في اعداد الرسالة الآتية .

احمد حسن الزيات

بيت الراعي

للشاعر الفرنسي الفريد دي فني

مهداة من المترجم الى الأستاذ الجليل احمد لطفي السيد بك

الى إيفا (١)

— ١ —

إذا كان قلبك وهو يتخبط عانياً كالنسر الجريح - لفرط ما أبهظته الحياة - قد قضى عليه أن يحمل كقلبي فوق جناحه المهيض عالماً بارداً مضنياً !

اذا كان لا يخفق بغير نزيف جرحه الأبدي . وقد أصبح لا يرى الحب : نجمه الصادق ينير له الأفق المتلاشي !

— ٢ —

اذا كانت نفسك المكبلة كنفسي ، قد أضناها الأغلال ومر الطعام ، فتركت المجداف فوق زورقها المنحوس . وأطلت برأسها المتقع باكية على صفحة الماء باحثة وسط الأمواج عن طريق مجهول ، فرأت - وهي ترتعد - كلمة الجماعة مرقومة فوق كتفها بالحديد ! (٢)

— ٣ —

اذا كان جسمك الحيي الرعديد تخجله النظرات . وهو يضطرب بالأهواء الدفينة !

(١) إيفا اسم امرأة يهدي اليها الشاعر قصيدته كما اهدى اليها قصيدة أخرى هي « الروح الخالصة » الا أن حقيقة هذه المرأة التاريخية غير متفق عليها . فمن النقاد « كبول بورجيه » من يذهب الى انه اسم يرمز به الشاعر للمرأة على الاطلاق . ومنهم من قال بل هي زوجته ، ومنهم من قال بل هي مدام دورفال الممثلة المعروفة . وقد كانت معشوقة الشاعر . وقد اشرنا الى ذلك في المقال الذي نشرته مجلة الجامعة المصرية لنا في العام الماضي عن دي فني

(٢) يشير الشاعر في هذه الفقرة الى عقوبة قديمة ، كان يحكم فيها على المذنب بالتجديف في قارب باستمرار . فهو يشبه النفس في نزاعها مع صروف الحياة بتلك العقوبة اذ لا يستطيع الفرار وكيف السبيل وهو يحمل فوق كتفه كلمة الجماعة . ويعني بها الشاعر من ناحية المذنب ختم السجن . ومن ناحية النفس الأوضاع الاجتماعية .

اذا كان يبحث لجماله عن حرم مصون . يحكم إخفاءه ، عن المستهتر الجارح !

إذا كانت شفتك تجففها سموم الكذب وجبهتك الجميلة تحمر خجلا اذا مرت باحلام مجهول غير عفيف . يراك أو يسمعك !

— ٤ —

اذا فارحلى بشجاعة(١) اهجرى المدن ، لاتدنسى بعد اليوم قدميك بغبار الطريق ، أشرفى من سماء أفكارنا على المدن الذليلة كأنها صخور القدر لاستعباد البشر ! الغابات المترامية والحقول ، المنبسطة ملاجئ فسيحة ، طليقة ، كأنها البحر يحيط بجزر معتمة . سيرى بين الحقول وبيمينك زهرة !

— ٥ —

الطبيعة تنتظرك فى صمت رهيب ، العشب يرسل فوق قدميك سحابة الماء ، وزفرة الوداع التى ترسلها الشمس فوق الأرض تحرك زهر الزنبق ، فكأنه المباخر . الغابة قد نقبت صفوف أشجارها المترامية ، وهاهو الجبـــل يختفى والسيسبان ينشر مقاعده العفيفة فوق الأمواج الناصلة(٢)

— ٦ —

ها هو ذا الشفق المحب يتوسد الكرى وسط الوادى ، فوق زمرد العشب ، وذهب الحشائش . تحت القصب الحية ، فى المجرى المنعزل ، وتحت غابة الأحلام التى ترتعد فى الأفق . هاهو يتمايل متسللا وسط عناقيد الزهور البرية ، يلقى معطفه الرمادى فوق شواطئ المياه ، ويشق عند ظهور الليل باب سجنها !

— ٧ —

فوق جبلى قصب كثيف لا تستطيع أقدام الصائد أن تتخلله . يرفع رأسه الجامح الى ما فوق جباهنا . ويؤوى فى الليل الراعى والغريب . تعالى أخف فيه حبك وخطيئتك المقدسة(١) . فاذا اضطرب أو لم يكن علوه كافياً شيدت لك بيت الراعى !

— ٨ —

يسير الهوينا على عجلاته الأربع . سقفه لا يعلو فوق جبهتك وعينيك سيسبغ الياقوت وخداك على عربة الليل لونهما ! المدخل عاطر والمخدع واسع معتم . هنالك بين الأزهار ستتخذ وسط الظلال فراشا صامتا لشعرنا المجتمع !

— ٩ —

سأزور إن أردت بلاد الجليد . هنالك حيث يشع نجم الحب(٢) ويلتهب ! . هنالك حيث تصطدم الرياح ويحاصرها الجليد ! . هنالك حيث يختفى القطب تحت الثلوج . سنسير كما تشاء المصادفات الى غير سبيل مقرر . وفيم اهتمامى بالزمان؟ وفيم اهتمامى بالمكان ؟ سأقول جميلا ما تراه عيناك جميلا !(٣)

— ١٠ —

ليهد الله ذلك البخار الصاعق إلى غايته فوق تلك القضب الحديدية ، التى تخترق الجبال ليقم ملك كريم على ذلك الموقد الصاخب عند مايدب تحت الأرض أو يهز بجبروته القناطر . عند مايخترق المدن بأسنان نيرانه التى تلتهم المراجل أو عندما يقفز الأنهار بوثبات أسرع من وثبات الوعل ، وقد حما قفزه(٤)

---

(١) نلفت نظر القارئ الى ان الجواب على الفقرات الثلاث الأولى هو قوله « اذا فارحلى بشجاعة » والقارئ يلاحظ ان الشاعر تكلم فى الفقرة الأولى عن القلب وفى الثانية عن النفس وفى الثالثة عن الجسم . ثم أجاب فى الرابعة عليها فهو يقول اذا كان قلبك أمره ما وصفت ونفسك كذلك وجسمك أيضاً اذا فارحلى بشجاعة . . . الخ

(٢) هذا تشبيه تمثيلى الا أن الشاعر حذف بعضا من المشبه لامكان ادراكه عقلا . هو يشبه حالة المدن وحولها الغابات والحقول بحالة أو بهيئة الجزر وحولها مياه البحار

(١) فسر البعض قوله (خطيئتك المقدسة) على أن القول موجه لمدام درفال حيث انها كانت متزوجة ، فحبها للشاعر يعتبر خطيئة . ولست ادرى بم يستطيع ان يفسرها من يقول : ان القول موجه للمرأة اطلاقا . او لزوجة ذى فنى نفسها .

(٢) الراجح أن الشاعر يقصد القمر

(٣) تعتبر الفقرة الأخيرة من أول قوله « سنسير » الى آخر الفقرة من احسن ما كتب الشعراء ولا شك ان القارئ يقدر ذلك

(٤) ابتداء من الفقرة العاشرة الى آخر الجزء الأول من القصيدة كما سيرى القارئ يتكلم الشاعر عن السكك الحديدية التى مد اول خط منها فى فرنسا حوالى منتصف القرن التاسع عشر وقبل نشر هذه القصيدة بقليل وقد حدثت اثناء ذلك حادثة فظيعة

— ١١ —

مالم يسهر الملك ذو العينين الزرقاوين عن طريق البخار. مالم يحلق فوقه ويحميه وسيفه بيده . مالم يعد كل دفعة من دفعات الرافعة . مالم يستمع الى كل دورة من دورات العجلة فى رحلتها الجبارة . مالم يلق ببصره على الماء وبيده على النار كى يتهلل الموقد السحرى بالنصر . كفانا حجر صغير يلقيه طفل ! [١]

— ١٢ —

لقد عجل الانسان بركوب ذلك الثور الحديدى الذى يدخن ويصفر ويخور . وما يعلم أحد ماذا يحمل هذا الأعمى الخشن فى جوفه من زوابع عاصفة ! هاهو المســـافر يسلمه راضياً كنوزه ! ويلقى اليه بوالده العجوز وأبنائه رهائن كما كان يفعل الفينيقيون بما يقذفونه فى جوف ثورهم المشتعل ناراً ليرده ترابا يلقيه تحت أقدام إله الذهب [٢]

— ١٣ —

على أنه يجب أن نقهر الزمان والمكان. فاما نصروا اما موت التجار يتنافسون . والذهب يتساقط كالمطر من دخان البخار الذاهب! الزمان والغاية هما العالم فى نظرنا ! كل يقول لنفسه هيا . ولكن لا سلطان لأحد على ذلك . التنين الذى اخترعه أحد العلماء ، اننا نلعب بما هو أقوى منا جميعا !

— ١٤ —

وعلى كل ليختط كل شيء سبيله . وليخدم النظر العمل فيحمله على أجنحة النار ما اتسع رحاب قاطرات البائع لكل نبيل . وما خدمت شريف العواطف . لتحل البركة على التجارة ذات الرمز الموفق مادام الحب الذى يعبث بالمعقول قد أصبح فى مكنته أن يخترق فى يوم دولتين كبيرتين ! .

— ١٥ —

ومع هذا فما لم نكن إزاء صديق يرسل صيحات اليأس . وحياته مهددة بالخطر . أو أزاء فرنسا التى تدق البوق لتدعونا الى ساحات الوغى أو اتصال العلم أو إزاء أم تحتضر فى سرير موتها ، وتود جاهدة أن تلق ببصرها الرقيق الحزين على ذويها قبل أن تغمض عيناها الى الأبد !

هلك فيها خلق كثير مما حمل الشاعر على السخط عليها وتفضيل الرحلة بالعربات ذات الخيل . وهو فى ذلك مدفوع بكرهة للمدنية وما تبتكره الميكانيكا من جهة ، ومن جهة أخرى بمزاجه الارستقراطى وبمزاجه الشاعرى ، الذى يفضل سكون العربة على ضجيج القطار وهذا الجزء من القصيدة للأسف ضعيف على خلاف الأجزاء الأخرى ، حيث تدفق اياته بالمعانى الجميلة واما هنا فلا ترى الا تشبيهاً ضعيفاً والامعان وعبارات لا شعر فيها ولا خيال لتدليلها فوق ما يجب إلى عالم الوقائع . هذا الى مايحيط بها من غموض يفسد مبناها ويذهب بجمالها ولنضرب لذلك مثلا تشبيه القطار بالثور وما الى ذلك ، مما يراه القارىء فى النص الذى حافظنا عليه فى النقل بكل ما استطعنا لننقل الشعر بقويه وضعيفه

(١) يريد الشاعر ان يقول انه مالم يسهر ملك على السكة الحديدية . . . الخ لكفانا حجر صغير يلقيه طفل تحت القطار لحدوث الحوادث المروعة . فالشاعر ترك بقية الفكرة لامكان ادراكها عقلا

(٢) نقف قليلا عند هذه الفقرة من أول قوله ، ويلقى اليه بوالده العجوز الى آخر الفقرة لنحللها قليلا مظهرين ما فيها من غموض فاولا يلاحظ القارىء اننا أمام عدة تشبيهات مزجها الشاعر مزجاً غير مفهوم فهو أولا يشبه والد المسافر وابناءه ، وان شئت فقل للوضوح ركاب القطار برهائن الحرب التى كانت تقدم من العدو لعدوه عند الهدنة ضماناً لتنفيذ شروط الصلح فان لم ينفذ المتعاقد ماقبله من شروط أعدم خصمه ما استلمه رهناً من أشخاص فهناك معنى المقامرة على حياة هؤلاء الاشخاص وكذلك الأمر فى ركاب القطار فما يعلم أحد ايصلون سالمين أم لا وهو ثانياً يشبه نفس الركاب بالضحايا التى كان الفينيقيون يقدمونها لالههم بعل المسمى مالوك ثم هو يشبه قطار السكة الحديدية بثور قرطاجنه الا أنه — وهذا مصدر الغموض — يقول ان المسافر يقدم أبناء وآباء رهائن الى القطار كما كان الفينيقيون يقذفون بالبشر أحياء فى جوف ثورهم مع أن الفينيقيين ما كانوا يقدمون البشر كرهائن بل كضحايا ثم قال ليرده ترابا يلقيه تحت أقدام إله الذهب . وقوله هذا يجوز كما هو فى الأصل الفرنسى وبالتالى فى الترجمة — أن ينصرف كل من الاله بعل والقطار مع أنه لا يقصد الا القطار . فالقطار وحده هو الذى يهلك الناس فى سبيل الذهب عندما ينقل البضائع من مكان الى آخر . ونضيف الى ذلك أن إله قرطاجنه لم يكن كما ظن الشاعر على شكل الثور . بل على شكل زاحفة كبيرة وانما تجده مقصوراً على شكل ثور عند اليهود فقط . وهذا بعد زمن الفينيقيين بكثير .

البقية على ص ٣٣



النوم واليقظه

بقلم الدكتور احمد زكى
الاستاذ بكلية العلوم

النوم . ما أحلاه ! أو هكذا يقول المجهود اللاغب قد استنفد النهار طوقه ، واستفرغ قواه .

النوم ما أعزه وأغلاه ! أو هكذا يقول المريض تعذر عليه القيام وسرى السقام فى عظامه بصنوف الآلام . فلاهو بالصحيح الصاحى فتحمله كالناس رجلان . ولا بالغافل العافى فتغمض له عينان ! امساؤه كأصباحه ونجوم ليله كشمس نهاره !

النوم . ما أروحه ! أو هكذا يقول المكروب أفعم الهم صدره حتى كاد يصدعه ، وثار الفكر الملح برأسه حتى كاد يطير به . يطلب النوم فيتأبى عليه ، والنوم كالسائمة الهائمة تشرد عن طالبها ، فيحتال عليه بالفكر اقتناصاً . فيفكر ثم يفكر ، ولكن فى دائرة لا مبدأ لها ولا منتهى !

النوم كالهواء والماء غلا حتى عز أن يكون له ثمن . منحة الله العظمى ، وعطيته الكبرى ، لا يستأثر بها غنى ولا توصد الخزائن دونها عن فقير . وعمت فلم يختص بها الانسان ، فكان للخلائق أجمعين أنصبة منها ، حتى النبات له من ذلك نصيب !

نعم حتى النبات ! فهو فى النهار يعمل كالانسان سعياً وراء القوت ، فيأخذ من الهواء أكسيد الفحم فيهضمه ، فأما الفحم فيستبقيه غذاء صالحاً يزداد به فى الجسم بسطة وفى الأفرع انبساقاً ، وأما الأكسجين فيطلقه فى الجو فضلة لا حاجة به اليها حتى اذا جاء الليل كف عن العمل وهجع الى الصباح ليعود الى ما كان عليه فى أمسه !

غريب فعل هذه الشمس فى الخلائق . تغيب فتنام الأرض ومن عليها ، وتطلع فتنشر أشعتها اليقظة والحياة . أو الأصح أن نقول إن نصف الأرض ينام حيث الشمس غائبة بينما نصفها الآخر صاح حيث الشمس طالعة ، فالنوم واليقظة دوّاران كالشمس يدوران على الناس من المشرق الى المغرب

وعلاقة الشمس بالنوم ليست مصادفة وليست عادة ابتدعها الانسان ثم ألفها ، ولكنها علاقة اقتضتها طبيعة الحياة وطبيعة الأجسام الحية وطبيعة النوم كذلك . ومن أجل هذا عمت حتى شملت كل ذى حياة . حتى السمك يقل حسه فى الليل ويهدأ حيث هو من الماء . . . ومن أطرف ما رأيت أنهم أعلنوا فى لندن منذ أعوام خلت أن الشمس ستكسف بعد طلوع الشمس بقليل . وكنا نسكن بظاهر المدينة فقمنا مبكرين نشهد هذا المشهد الجليل . فذرّ قرن الشمس وخرجت الطيور على العادة من أوكارها تسعى الى الرزق . ولكن ماهى إلا أن احتجبت الشمس وجلل الأرض ما يشبه الغسق حتى وجدنا هذه الطيور تعود الى أوكارها زرافات ووحدانا مخدوعة عن صباحها ، ولم يكن بعد قد جف نداه .

وهذا نظام كما ذكرنا عام اقتضته ضرورة الحياة ، وله شواذ إلا أنها لا تكون إلا لضرورة من ضرورات الحياة كذلك . فكما نرى بين الناس من يضطره العيش الى القيام والناس هجوع ، والى الهجوع والناس قيام ، نرى من الحيوانات كالمفترسة ما يلبس رداء الظلام يتحسس فريسة نائمة ، ومنها الضعيف الهياب كالحشرات والجرذان يتخذ من الليل نهارا يطلب القوت تحت ستاره فى أمان واطمئنان . ومن النباتات أجناس رخصت لها الطبيعة بمثل هذا الشذوذ . فبنا

نرى الكثير من الشجر تهدل أغصانه بعض الشيء وتغمض أزهاره وتحبس عطورها بمغيب الشمس ، نرى القليل كنبات التبغ يسير على النقيض فتتفتح أزهاره فى الليل ويفوح طيبه وما كان للطبيعة أن تأذن لهذا النبات فى رخصة كهذه لولا أن فيها حياته وبها ضمان إنساله ، فان فَراش الليل ينجذب الى الزهرة الذكر بشذاها ، فيحط عليها طلباً لجناها ، ثم يشيل عنها متحملا بلقاحها ، فيحط به على زهرة أنثى فيتم أثمارها .

أما جوهر النوم وكنهه فقد حار فيهما العلماء كما حاروا فى كل شيء يتصل بالمخ وتوابعه من حيث الصحة والمرض ومن حيث الادراك والتفكير . ولا غرابة فى ذلك ، فالانسان امتاز من الكائنات بخلقه ، والمخ أعقد ما فى هذا الخلق ، وبه ساد الخلائق ، وبه تحكم فيها وورث الأرض ، وبه سبر أجرام السموات . غير أنه مما لا شك فيه أن النوم يعطل فى الانسان التعقل والتفكير ، وكذلك الاحساس ، وتلك جميعها من مظاهر اليقظة . ولا تدوم فترة مابين اليقظة والنوم أكثر من دقيقة أودقيقتين ، وعندئذ يدخل الرجل الصحيح المعافى فى النوم كما يجب أن يكون ، وتنقطع الصلة بينه وبين هذا العالم ساعة أو ساعتين ، تكون فيها صحيفة ذهنه بيضاء من كل شر أو خير ، فهو كالميت وليس ميتا ، ثم تقرب الصلة بعد ذلك بينه وبين العالم الحى . وهنا تتدخل الأحلام . وليس النوم ذو الأحلام بالنوم العميق ، ولا أدل على ذلك من أن أحلام النائم تتأثر بما يحدث حوله ، فقد يقع كتاب فى الغرفة فيتمثل للحالم كأن بيتاً ينهد ، أو جبلا ينقض . كذلك تتشكل أحلام النائم وفقا لما يحدث فى جسمه ، كأن تتوعك أمعاؤه أو تتخم معدته فتضيق أنفاسه فيرى أن لصاً مجرماً أخذ بتلابيبه وضيق عليه الخناق ، أو أنه أُلقى به فى اليم فسد عليه الماء منافس الهواء . فالرؤى على هذا نوع من الكرى بين الوسن الخالص واليقظة الخالصة ، ولا تكون راحة الجسم فيها تامة ، ولو جمعته بالحور الحسان على أرائك من خز وجمان وكما كان الدخول فى النوم تدرجا كان الخروج منه تدرجا ولا يستغرق هذا التحول أكثر من دقيقتين .

ومع ان الانسان يتعطل تعقله وحركته اذا هو نام إلا أن أعمال جسمه الأخرى التى لا تتصل بمراكز المخ الرئيسية لا تتعطل ولا تكاد تتأثر إلا قليلا ، فالقلب يدق ولا تقل دقاته الا يسيراً ، والمعدة تفرز العصارات الهضمية ، والأمعاء تتحرك حركاتها الدودية ، ويجرى امتصاص الطعام فيها بمقدار مايجرى فى الصحو . والدورة الدموية تجرى كعادتها ، إلا أن مخ النائم يقل دمه ، بينما يكثر الدم مقابل ذلك فى الأعضاء والأطراف لاتساع أوعيتها . ففقر الدم فى المخ نتيجة من نتائج النوم ، وكثيراً ما يكون سبباً من مسبباته . ألا ترى أنك اذا أكلت فأثقلت جاءك النعاس فلم تستطع لسلطانه دفعاً ؟ وسبب هذا أن المعدة تجذب الى نفسها أكثر الدم ليعينها على الهضم فيقل نصيب المخ منه . كذلك تقل حرارة الجسم فى النوم تبعاً لنقص نشاطه ، فان كل عمل من أعماله نتيجة تفاعل كيميائى يصحبه احتراق بعض مادته ، فاذا قل نشاط الجسم قل احتراقه فقلت حرارته . واذا نحن قدرنا نتاج احتراق الجسم فى الأربع والعشرين ساعة بنحو ٣٠٠٠ سعر حرارى وجدنا أنه ينتج من ذلك القدر ٦٠٠ من الأسعار فى ثمانى الساعات التى ينامها ، وينتج ٧٥٠ منها فى ثمانى الساعات التى يستريح فيها غير نائم ، والباقى وقدره ١٦٥٠ ينتجه فى ثمانى الساعات التى يكد فيها ويعمل . ولقلة دخل الجسم من الحرارة أثناء النوم يتغطى المرء حين ينام بكل موصل ردىء للحرارة كالألحفة ونحوها ليقلل خروج الحرارة منه فيتم بذلك توازنه الاقتصادى . ومن أجل ذلك أيضاً يختل هذا التوازن على الأغلب والناس نيام ، فيصابون بأزمة داخلية يعبرون عنها بالبرد .

وقد وضع العلماء نظريات عديدة فى أسباب النوم لاداعى للألمام بها لأنهم لم يجمعوا على احداها . وقد حاول قوم فى عصر المحاولات الغريبة - الذى نحن فيه - أن يستغنوا عن النوم بالمران ، فكانوا كمن يحاول أن يستغنى عن الشراب والطعام . ويختلف القدر اللازم منه للانسان باختلاف عمله وحركته وخموده ، كذلك يختلف على ماهو معروف باختلاف الأعمار ، فالطفل الرضيع ينام أغلب يومه ، ثم تقل حاجته منه حتى تبلغ فى الشباب ثمانى ساعات ، ثم تزيد فى القلة فقد تنزل فى الشيخوخة الى ثلاث ثم تنعدم بالطبع عند نفاد الزيت واحتراق الفتيل .

احمد زكى

العالم النسائي

تباشير الانقلاب*

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

تحيي الرسالة صديقها الزهاوي بقصره الجديد من ضاحية بغداد تحية طيبة، وتعده بأن تعنى بدرس آثاره وتحليل أشعاره عناية ظاهرة، ثم تعاتبه في رقة ولطف على أن يختار لعددها الأول هذه القصيدة

من بعد ما انتظرت حقابا ثارت فمزقت الحجابا
عربية عرفت أخيراً كيف تنبذ ما أرابا
كان الحجاب يسومها خسفاً ويرهقها عذابا
ان الألى قد أذنبوا هم صيروه لها عقابا
وسيطلب التاريخ من ناس لها ظلموا حسابا
سألت لها حرية تغنى فما لقيت جوابا
حتى إذا ما استيأست خرقت بأيديها النقابا
فرأت أمام سفورها للمجد أفنية رحابا
ذهبت كزوبعة لها صخب فأحمدت الذهابا

أحسنت يابنة يعرب صنعاً وأتبعت الصوابا
فلقد كفاك غضاضة ذاك الشقاء بما أصابا
ليس الجمود سوى خنو ع قد يجر لك التبابا

ان الحياة لتبتغى في عصرنا هذا انقلابا
ظهرت تباشير له تبنى المنى منها قبابا
خوضي الى المجد الأثيـل ـ اذا أردتيه ¹ ـ الصعابا
وتنكبي الوهد الذى يخفيك واطلى الهضابا
أما العباب فانه ان حال فاقتحمى العبابا
الحق حقك فانشديه في محاولة طلابا
واذا أبوا تخذيه منهم في محاججة ¹ غلابا
لا تعبئى أبداً بغر بان يواصلن النعابا
وذرى من الدين القشو ر جميعها وخذى اللبابا
لا خير في ناس اذا أفحمتهم ولوا غضابا
عزووا الحجاب الى الكتا ب فليتهم قرأوا الكتابا!
ان التعصب مانع أن تبصر العين الصوابا

ما عاش شعب نصفه قد شل من داء أصابا
الحق يزهق باطلا قد زين، والصدق الكذابا
ما كان خدرك غير سجن مظلم يولى اكتئابا
قولى اذا أخطأت أخطأ، أو أصبت لقد أصابا

انى لأرجو أن أرى التوقير في الفتيان دابا
وألوم من مردوا فلم يبغوا عن السفه اجتنابا
كم من خراف حين أد جى ليلها انقلبت ذئابا
لما رأت لحماً طريـاً أبرزت ظفرا ونابا

ولرب فاتنة العيو ن لحاظها تحكي الحرابا
وترى خصائل شعرها فتخالها تبراً مذابا
زفت الى وحش فسلـ ـت في حيازته اكتئابا
وأجاعها شحاً ولم يحسب لجوعتها حسابا
هل ظن أن المرهق الغرثان يلتهم الترابا
ولقد غلى منها الأسى فتفجرت تبكى المصابا
ان الأسى إما غلى ليفجر ² الصم الصلابا

ونعاتب الأقدار لو يسمعن من أحد عتابا!
ولقد يخر الدمع محمراً فتحسبه شهابا
ذم الجهالة انها ما أورثت الا خرابا
قالت ألا بعداً لمن سمع الدعاء وما أجابا

---

* أنشدها في الحفلة التي أقيمت للمؤتمر النسائي العربي في نادي لوره خضوري ببغداد.

¹ كذا

¹ كذا ² كذا

يا ماء أهلى أين أنــت   فأننى أشكو اللهابا

ياقبر ، ليلى ، أنت تحوى   فيك زنبقــة كعابا
حيتــك واكفة الحيا   تهمى فتسكب انسكابا
كم مثلها من نسوة   يرجين[1] فى الصبر الثوابا
يلوين من جور الرجا   ل ــ وقد تبرمن ــ الرقابا
أولست فى وأد البنــا   ت من الرجال ترى العجابا
مالى رجاء فى الشيو   خ وإنمــا أرجو الشبابا
من كل وثاب اذا   أغريتــه اقتحم الصعابا

النـــاس فى الآراء يخــتلفون   بعداً واقترابا
بسم المنى لأقلهم   خطأ وأكثرهم صوابا

انى أرحب بالألى   بلد الرشـيد بهن طابا
من سـيدات للعرو   بة جئن يرفعن القبـابا
أولينـنا النعم الرغا   ب وما توخين الثوابا
بل خدمة الوطن العزيز   بهن عن بعـد أهابا
نعم سأشكرها ومن   لا يشكر النعم الرغابا ؟!
وكذاك تشكر كل أر   ض ـعضها الجدب ـ السحابا
يا « نور » هذا الحفل قد   جازت بطولتك النصابا
لا تحسبي للمرجفين   ـومن روى عنهم ـحسابا!

(١) كذا

الجمال والحب

هل يشترط الجمال فى المرأة لاثارة الحب ؟

آراء طائفة من أعلام النساء والرجال

هل يجب أن تكون المرأة حسناء لكى تحب ؟ هذا سؤال طرحته صحيفة نسوية فرنسية ظهرت حديثاً هى « جريدة المرأة » J. de la Femme ، وتقدمت بسؤالها الى جماعة من الأكابر ذوى الرأى والمكانة الاجتماعية ، رجالا ونساء ، وقد رأينا لطرافة هذا الاستفتاء ، أن ننقل خلاصة ما أدلى به أولئك الكبراء فى هذه المسألة النفسية الخطيرة .

الرأى النسوى

ونبدأ بما يراه الرأى النسوى فى ذلك ممثلا فى أقوال طائفة من شهيرات النساء .

قالت مدام دوسان الفنانة الباريزية الكبيرة التى تعد نموذجا من أبدع النماذج لجمال الفرنسية وسحرها ، والتى تحمل أرفع أوسمة « الشرف » وتشغل فى المجتمع الباريزى أرفع مقام :

« ماذا يعنى أولا أن تكون المرأة حسناء ؟ يوجد ألف شكل لتكون المرأة حسناء ، وألف آخر لتكون جذابة ، ومائة ألف أخرى لكى لا تكون قبيحة ! والحسن ليس شرطاً فقط لكى تحب المرأة ، ولكن يجب أن تكون المرأة حسناء لأسباب كثيرة اخرى ، يجب ان تكون حسناء بالصدفة . فى مدننا المروعة حيث تأبى الأشجار ذاتها الحياة ، يغدو القوام النسوى الساحر آخر بهجة تقدمها الطبيعة للأعين . ويجب ان تحاول المرأة ان تكون حسناء ، فتلك مدرسة بديعة للارادة . صحيح ان المراة الحسناء تكون احياناً فوزاً مدهشاً للطبيعة ، ولكنها اكثر ما تكون امراة استطاعت ان تصلح زينتها وان تصقل رواءها ، او بعبارة اخرى امراة استطاعت ان تكون قاسية على نفسها . وقد نعتقد متى فاجأنا احدى اولئك النسوة تنظر الى المرآة خلسة انها تعجب بنفسها . وهذا خطأ كبير . فهى فى الحقيقة تدرس نفسها ، وتضبط نفسها بصرامة خفية ، وتتقدم فى تفهم وسائل الحسن . ولكنها لن تعترف بذلك مطلقاً ، ولها فى ذلك كل الحق .

ولا يوجد حسنان متماثلين . فقد يكون الجمـال هو وسامة الخلقة ، ولكنه قد يكون ايضاً بشرة وردية وشعراً اشقر ، او يكون نبرة الصوت . أو طريقة الابتسام . ولو دققنا البحث فمن

ذا الذى لا يتمتع بلمحة من الجمال ؟

على انه يجب البحث وراء الجمال لاعتبارات صحية ؛ والصحة من انفس موارد الجمال . وواجب الا يغرينا منظر الجمال السقيم ، فهو كالأثواب الغربية ، فلما يتاح له النجاح . ولكن اضطرام الحياة ، والتفاؤل ، والحماسة وسائل محققة للاحتفاظ بصباحة الطلعة ، وثبات القامة ، ولمعان العين

ولكن ماذا يجب لكى تحب المراة ؟ هذا هو لب السؤال . حقاً ان الحسن لا يضر ، ولكنه ليس بذى عصمة ، والجمال مثل المال ، لا يحقق السعادة حتما . هذه المراة الفتية النحيلة ، ذات الجمال الخطر ، التى تسحرك على لوحة السينما حيث يقتتل اثنان من اجلها ، قد ارادت فى الأسبوع الماضى ان تنتحر بالسم لأن الرجل الذى تحبه هجرها من اجل فتاة صغيرة من الرعاع لا ميزة لها الا انها تحسن الطهى . ولكن تأمل ايضاً هذه المراة التى تسير جامدة دون تأنق ، فان لها زوجا يعبدها منذ عشرين سنة لانها فى نظره تجمع بين كل المحاسن . ان المسألة كلها حظوظ فقط

ومع ذلك فيجب أن نجتهد فى استكمال روائنا ، وفى الظهور بديعات مشرقات ، اذ ان ماتثير من اهتمام او حماسة يشرق بدوره من حولنا . فنحن نعجب بجمال الممثلات ، ولكن روح ادوارهن هو الذى يذكى هذا الجمال ويطيل اجله

هل يجب ان تكون المراة حسناء لكى تحب ؟ اود ان اجيب انه يجب ان تحب المراة لكى تكون حسناء »

* * *

وقالت مدام لوسى ديلارى مردروس الكاتبة والمثالة الشهيرة:

« لست اعتقد ان الجمال شرط لاثارة الحب . فالجمال مسألة مفاجأة وظهور على المسرح . ونحن نعتادالنظر اليه كما نعتادالقبح، وهذا هو الخطر . ونحن نعرف الكلمة السائرة : انها حسناء حتى لا ينقصها شىء . ولكن من سوء الطالع الا ينقص المراة شىء ، اذ يجب ان يمكن المرء من العناية والاختراع لأجل انسان ما . فهذا التعاون من جانب ذلك الذى نحب ضرورى جداً . والرجل يذكر دائما ان حواء قد خلقت من احد اضلاعه . واذن ففى بعض الأحوال قد تفوق جاذبية القبح جاذبية الجمال ؛ فان محيا قبيحاً يثير الجزع والألم ، ويحاول المرء ان يصلحه بلا انقطاع . وليس معنى ذلك ان المراة يجب ان تكون قبيحة لكى تحب . ولكنى اعتقد ان الحب لا تذكيه خلقة الشخص . ولكن يذكيه الهامه . وكذلك دلالة محياه ، فان دلالة ساحرة افضل من خلقة وسيمة »

* * *

وقالت مدام ماريز باستيه الطيارة الشهيرة :

« لست أعتقد أن الرجل يبحث عن الجمال فى المرأة أكثر مما نبحث عنه نحن النساء فى الرجل . ومن سوء الحظ أن يعرف الرجل أنه جميل وهـــذا ينطبق أيضاً على بعض النساء الحسان . وعلى أى حال فان الحسان يظفرن بكثير من النجاح . فهل يحببن الرجال أكثر من غيرهن ؟ ولكن الأخريات أين هن ؟ يخيل الى انه لا توجد ثمة وجوه قبيحة .

* * *

وقالت مدام جنى وهى اخصائية شهيرة فى شئون الجمال والزينة

« ان ما يدهشنى دائما هو ما ألاحظه من ضآلة الدور الذى يؤديه الجمال فى الحب . فالرجل تغريه اشياء غير الجمال . ولست أستطيع أن أجد لذلك أى تفسير ، فهنالك نساء متبذلات ونسوة من أحط الرعاع ، يرتكب من أجلهن رجال ممتازون أشنع ضروب الطيش . واذن فلنقل مثل ما قالت كارمن : ان الحب لا يعرف أى قانون .!

رأى الرجل

واليك رأى الرجل فى تلك المعضلة الاجتماعية الدقيقة : ممثلا فيما ادلى به بعض اكابر الرجال :

قال الأستاذ هنرى روبير عضو الأكاديمية الفرنسية ونقيب المحامين السابق :

« لا بأس ان تكون المراة جميلة » ولكن ذلك ليس ضرورياً وانى لأفضل مائة مرة امراة ذكية طيبة القلب وليست عاطلة من الوسامة على امراة وافرة الحسن ليس لها قلب ولا ذكاء .

ان المواهب العقلية فى المراة لها قيمة كبيرة . وللذكاء النسوى دقائق ندهش لها بحق . والنساء اللواتى يخلبننا هن اولئك اللاتى يستطعن ان يقلن شيئا ، فهنالك شىء لا يمكن وصفه ، وهو اوقع جداً فى اثارة الحب من الجمال : ذلك هو السحر . وهنالك من ضروب السحر نوع لا استطيع مقاومته ، ذلك هو سحر الصوت. بعد فما قيمة المبادىء فى هذا الموضوع ؟ ان الانسان حيوان العادة ، فاذا ما اعتاد شيئا فانه لا يعنى بالتحليل » .

* * *

وقال نيكولا سيجور الكاتب الأشهر :

« ان الجمال مقر ملوكى للحب ، والخفاء هو الذى يجعله ينفتح ظافراً مختاراً . والمراة الحسناء هى قدس طبيعى ، بل هى التنزيل الوحيد على الأرض .

وللجمال اهمية كبرى فى اثارة الحب . وهو هبة ارفع من المواهب والعبقرية والفضيلة ،اذ ان المراة الحسناء يجتمع فى شخصها كما يقول رينان . كل ما تستخلصه العبقرية بمشقة وفى لمحات ضئيلة

ولهذا فان ظهور امرأة حسناء يضع الرجل امام المعجزة وجها لوجه. ويثير فى نفسه اضطرابات كتلك التى يعرضها هوميروس بأسلوبه الخالد حينما يصف اجتماع شيوخ طرواده على الأسوار وهم يلعنون المراة الغريبة التى جاءت لتبث فى مدينتهم بذور الخراب والموت . ولكن هيلانة ما كادت تظهر حتى نهض اولئك الذين يلعنونها مضطربين يقول بعضهم لبعض : انه لحق ان نتحمل الضرر من اجل امراة لها ذلك الحسن .

وفى باريس نعرف كما عرف اليونان الأقدمون ، ان الجمال مقدس وانه لؤلؤة الخليقة ، والصورة المادية الوحيدة لما نسميه المثل الأعلى .

على ان هنالك خواص عجيبة اخرى تحل محل الجمال ، وتخلق الجمال لدى المراة التى لم تحظ بقسامة الخلقة . ولا ريب ان السحر والظرف ، والذكاء تجذب الرجل وتخضعه . وما تغنمه الحسناء توا بظهورها ، تستطيع ان تغنمه اية امراة اخرى بوسائل اخرى

ويخيل الى ان ما يأتى بعد الجمال ، هو خصب الحياة ، وانتعاش الملامح ، وما يستشفه الرجل من الحساسية خلال المحيا . فهذه تؤثر فيه تأثيراً قوياً ناجعاً » .

وقال الدكتور شابا عضو المجمع العلمى ورئيس جمعية الفنانين :

« لا ريب ان الجمال يعاون كثيراً على اثارة مشاعر الحب . بيدانه يوجد نساء غير حسان ، ولكنهن اكثر جاذبية من الحسان . وللسحر خفاء لا يعلل ، فان السحر الذى تبثه امراة ما فى نفس رجل ما . قد يقتصر احياناً على هذا الرجل .

ولكل امراة على الأقل لحظة من السحر . وهذه اللحظة قد تقرر مصير حياتها كله . ويحدث احياناً ان نرى نساء هن نماذج الجمال باردات منكمشات ، فاذا هن بقبس يسطع فى العين ، او حركة فى جانب الثغر ، فيحدث ذلك تغيراً فى المحيا . وهذه الحالة تقع كثيرا للفتيات المحدثات . واذاً من المهم ان نكتشف لديهن ما هو خاف عليهن وعلى ذويهن ، وما قد يعود يوما عاملا فى اثارة الحب الذى يثرنه .

قال الدوق ليفى ميربو المؤرخ الأشهر :

« ليس الجمال شرطاً لاثارة الحب . فاذا احب رجل امراة وافرة الحسن ، فهو غالباً آخر من يلاحظ جمالها . ولا ريب انه يكون سعيداً بذلك ، ولكن الجمال لم يكن اول ما اثار اضطرابه الأول . فالذى يثير ذلك هو الهام الحب . ذلك الالهام الشهير الخالد . هو السحر الذى يتطور بتطور العصور . وليس وسامة الخلقة وانتظام التقاطيع . فان جوزفين بوهارنيه لم تكن وافرة الحسن ، وكانت كليوباطرة ــ تلك المرأة الهائلة ــ اقل جمالا من اوكتافيوس » ؟

بيت الراعى ــ بقية المنشور على صحيفة ٢٧

ــ ١٦ ــ

لنتجنب السكك الحديدية (١) مادامت الرحلة بها مجردة عن كل لذة ، حيث تجرى على تلك الخطوط وكأنما هى سهم انطلق فى الفضاء من قوسه الى غرضه ، وسط أزيز الهواء . وهكذا ترى الانسان وقد قذف به الى بعد لا يستنشق ، ولا يرى من الطبيعة الا ضبابا خانقاً يخترقه برق خاطف !

ــ ١٧ ــ

لن نسمع بعد اليوم وقع سنابك الخيل على الطرق الملتهبة . وداعا أيتها الرحلات البطيئة ! تلك الأصوات التى نسمعها عن بعد ! ضحكات المارة توقف العجلات عن السير . ثم تلك المنعطفات غير المتوقعة فى مختلف المنحدرات ، صديق نلقاه فننسى معه الزمان . الأمل فى الوصول الى مكان مهجور فى وقت متأخر !

ــ ١٨ ــ

لقد تغلبنا على الزمان والمكان ! لقد مدّ العلم حول كرة الأرض خطاً مستقيماً نحساً لقد ضيقت معارفنا من فضاء الأرض وأصبح خط الاستواء عبارة عن حلقة صغيرة ضيقة . لاصدفة بعد اليوم . سيتخذ كل وجهته لا يعدو المكان الذى يحتل من بدء الرحلة غارقا فى تقديرات صامتة باردة !

ــ ١٩ ــ

محال على الأحلام الوادعة الملتهبه بالعاطفة أن ترى قدمها الأبيض معلقاً بها (٢) من غير أن ترتجف مشمئزة لأنه لابد لها من أن تلق على كل مرئىّ نظرة طويلة كالنهر المتدفق وأن تسجوب فى لهفة كل شىء وأن تدرس فى عناية كل سر المحىّ . وأن تسير وتقف ، وتسير ورأسها منحن .

(١) بعد أن ذكر الشاعر المستثنيات يذكر القاعدة فى هذه الفقرة فهى تكملة الفقرة السابقة . أى أن الشاعر يقرر كقاعده أنه يجب أن تجتنب السكك الحديدية . ثم يستثنى حالات هى المذكوره سابقا أى حالة الصديق الذى يريد أن يرى صديقه بسرعة ففى هذه الحالة كما فى حالة نداء فرنسا لأبنائها لتدعوهم الى الحرب أو الى العلم ثم فى حالة الأم المحتضرة التى تود رؤية ذويها للمرة الأخيرة ، فى هذه الحالات فقط يجيز الشاعر ركوب القطار

(٢) بها أى بالسكة الحديدية والمقصود القطار

(لها بقية)

محمد مندور
عضو بعثة كلية الآداب بفرنسا



على هامش السيرة

حفر زمزم

للدكتور طه حسين

— ١ —

كان عبد المطلب سمح الطبع رضى النفس سخى اليد حلو العشرة عذب الحديث . وكان عبد المطلب أيضاً قوى الايمان تملك قلبه وتسيطر على نفسه نزعة دينية حادة عنيفة ، ولكنها غامضة، يحسها ويخضع لها ، ولكنه لايتبينها ولايستطيع لها فهما ولا تفسيراً . أبوه من مكة حيث التجارة والثروة ،وحيث المكر والدهاء ،وحيث الوثنية السهلة التى لا تحرج فيها ولا مشقة . وأمه من يثرب حيث الزراعة والصناعة اليسيرة ، وحيث اليهودية تجاور الوثنية فتضعفها وتنقص من ظلها وتكاد تمحوها ، وحيث الأخلاق اللينة والشمائل ، الحلوة وحيث الظرف ونعومة الحياة .

ولد فى يثرب ومات عنه أبوه فلم ينقله الى مكة فنشأ بين أخواله وتأثر بحياتهم وتخلق بأخلاقهم وسار سيرتهم حتى بلغ الشباب أو كاد ، ثم أقبل عمه فانتزعه من اقليمه السهل الهين الى اقليم آخر صعب عسير ،تجدب فيه الأرض ولا تبتسم له السماء الا قليلا . يرحل أهله الى الآفاق ويفد على أهله الناس من جميع الآفاق . فهم يأخذون من الناس ويعطونهم ويبادلونهم الاخلاق والشمائل كما يبادلونهم المنافع وعروض التجارة ، ولعل أخلاق يثرب وخصال مكة قد اختصمت فى نفس هذا الغلام ، ولعل اختصامها قد طال ،ولعل اختصامها قد قصر .ولكنها على كل حال قد انتهت الى شىء من الاعتدال آخر الأمر . فلم يكتمل الفتى شبابه حتى كان فتى من قريش ، ولكنه يمتاز من بقية فتيان قريش .فيه ذكاؤهم وفطنتهم وفيه إباؤهم وعزتهم ولكن،فيه دعة لم تكن مألوفة عندهم ، وفيه شدة فى الدين قلما كانوا يرضونها أو يسمون لها . على أن خصلة أخرى ميزته منهم أشد التميز ، فلم يكن يصدر فى حياته ، كما كانوا يصدرون عن الروية والتفكير وطول التدبر ، وانما كانت تدفعه الى العمل والاضطراب فى الحياة قوة خفية يحسها ويأبى عليها ويغلو فى الاباء ، ولكنه يضطر الى أن يذعن لها ويصدع بأمرها ، وكانت هذه القوة تصدر اليه أمرها فى أشكال مختلفة، تدفعه الى العمل حينا ، وكأنها ارادته الخاصة قد ملكت عليه حسه وشعوره ؛ فهو لا يستطيع عنها انصرافاً ولا يملك لها خلافاً . وتتمثل له حيناً آخر شخصاً واضح المخايل بين الصورة ، يلم به اذا اشتمله النوم فيأمره أن يأتى كذا وكذا من الأمر . وتنتهى اليه مرة ثالثة صوتاً رفيقاً ولكنه ملح يملأ أذنيه يقظان، ويملأ أذنيه نائماً يحثه على أن يأتى كذا وكذا من الأمر ، وكان فى هذا الصوت غموض وكان فى هذا الصوت ابهام وكان فى هذا الصوت جلال مصدره هذا الغموض والابهام، وكان الفتى ينكره ويرتاع له ، وكان الصوت يغمره ويلح عليه . وكان الفتى يخاف هذا الصوت ويهواه ، وكان الصوت يتجنب الفتى حتى يؤيسه من نفسه ، ، يلم به فيكثر الالمام . ولم يكن هذا الصوت يقع فى أذن الفتى بألفاظ كالتى تقع فى آذان الناس انما كان يصطنع ألفاظاً خاصة غريبة الجرس غريبة المعنى .

كانت اليه رفادة الحاج وسقايته بعد عمه المطلب ، فكان يطعم الناس إذا حجوا البيت ويسقيهم ، يجمع لهم الماء فى أحواض من الأدم ، وكان يجد فى جمع هذا الماء لسقاية الحجيج جهداً وعسراً فبينا هو نائم ذات يوم أو ذات ليل، أتاه آت رأى شخصه ولم يتبين له سمة ولا شكلا وقال له فى صوت رفيق غريب فيه أنس وفيه وحشة: احفر (طيبة) قال · وما طيبة؟ فانصرف

الشخص وانقطع الصوت ، وأفاق الفتى وفى نفسه ذعر وعجب وأمل . وحاول أن يعود الى النوم لعله يرى هذا الشخص ، أو يسمع هذا الصوت أو يتبين هذا الحديث ولكن النوم كان قد خاصم عينيه وانصرف عنه مع هذا الشخص الغريب ، ففكر وأطال التفكير، وقدر وأطال التقدير، وتقلب فى مضجعه فأكثر التقلب ، حتى ضاق بالنوم واليقظة وسئم مضجعه . فجلس يرقى ببصره الحائر الى السماء لعل شمس النهار او نجوم الليل تفسر له هذه الرؤيا ، ويخفض بصره الى الأرض لعله يجد فى إطراقه تفسير هذه الرؤيا ، ويمد بصره نحو الكعبة لعل صنما من هذه الأصنام المنصوبة يوحى اليه بتعبير هذه الرؤيا . ولكن السماء صامتة والأرض ساكنة وعلى أصنام الكعبة شىء كأنه الوجوم ، فيرتد الى الفتى بصره متعباً مكدودا ، وتهوى نفسه الى قرارة ضميره لعلها تجد لهذا الرمز تأويلا، فلا تجد شيئا ، فيشتد بها الذعر ويزداد فيها العجب ، ويبقى لها الأمل. وينهض الفتى فيضطرب مع الناس فيما يضطربون فيه من أمور الحياة

ثم يقبل الليل ويأوى الفتى الى مضجعه ، وقد أنسى كل شىء الا أنه قد مشى كثيرا وأجهد نفسه كثيرا ، وانه أشد ما يكون حاجة الى أن يبسط عليه النوم جناحيه . ها هو ذا مغرق فى نوم هادئ، مطمئن ، قد هدأ من حوله كل شىء واطمأن فى نفسه وجسمه كل شىء . ولكن ما هذا الشخص الغريب يقبل ساعيا اليه فى أناة ، حتى اذا دنا منه قال له فى صوت رفيق غريب فيه أنس وفيه وحشة « احفر بَرَّةَ » وجسم الفتى هادئ، مطمئن ولكن نفسه ثائرة مضطربة ، ولسانه يتحرك فى ثقل وصوته ينبعث من بين شفتيه خفيفا رقيقا بهذه الكلمة (وما برة ؟) فينصرف الشخص وينقطع الصوت ، ويفيق النائم وجلا مذعوراً معجباً آملا ، ويفكر ويقدر ويتقلب . ثم ينهض فيسأل السماء ولكنها صامتة ! ويسأل الأرض ولكنها ساكنة ! ويسأل أصنام الكعبة ولكنها مغرقة فى البله والوجوم ! ويضيق الفتى بنفسه وبالسماء والأرض والأصنام فيهم على وجهه يلتمس فى الحركة والاضطراب نسيان هذا الطائف الذى يفزعه ويغريه . ثم يعمل الناس فى أمور الحياة . وينقضى النهار بخيره وشره وحلوه ومره ، ويقبل الليل شيئاً فشيئاً فيبسط أرديته السود على ما يحيط بمكة من جبال وآكام وما يزال يمد فى هذه الأردية حتى يغمر كل شىء ويستر كل شىء لولا هذه المصابيح الضئيلة التى تشب فى الأرض، وهذه النجوم القليلة التى تضطرب فى السماء . وقد سمر الفتى مع السامرين فسمع أحاديث التجار عن غرائب الأقطار ، هذا يحدث عن قصور بصرى وعظمتها وهذا يحدث عن الخورنق والسدير وهذا يذكر غمدان ، وهذا يصف أخلاق اليمانين ومكرهم بالتجار وهذا يتحدث عن سذاجة أهل الشام وانخداعهم لغربان العرب، وهذا يذكر ما أفاد من ربح حين باع الأدم فى الحبشة ، وهذا يذكر للقوم ما حمل لهم من خمر بيسان، وهم فى أثناء هذا كله يتندرون على العجم والأعراب، ويتفكهون بأحاديث اولئك وهؤلاء، ويسخرون من أولئك وهؤلاء. حتى اذا تقدم الليل واطمأن كل شىء تفرقوا ، ونهض الفتى ثقيلا فمشى الى بيته متباطئاً يود لو فر من النوم، ويود مع ذلك لو نام فألم به هذا الطيف . انظر اليه! انه ليتردد أيقذف بنفسه فى امواج النوم هذه التى تتمثل أمام عينيه . لم يبق على الشاطئ يقظان يداعب النوم ولا ينام ليتردد ما استطاع ، ليمتنع على النوم ما وسعه الامتناع ، فان هذه الأمواج المصطخبة أمامه، تستطيع أن تطغى على الشاطئ فتغمره، وتغمر معه كل شىء . وكيف يستطيع هذا الفتى أن يمتنع عليها وما استطاعت أن تمتنع عليها جبال مكة هذه التى تحيط بها من كل ناحية! انظر أترى حركة ؟ اسمع! أتحس نبأة ؟ كل شىء هادئ! كل شىء مطمئن! فما نبوءك وما امتناعك ؟ هلم الى النوم لا تخف شيئاً ! ان هذه الأمواج تريح ولا تغرق، أقبل الى هاتين الذراعين اللتين تمتدان اليك فتنس بينهما كل شىء، ومن يدرى لعلك تجد بينهما شفاء لنفسك الحائرة! وأطبق الفتى جفنيه واندفع أمامه فاشتملت عليه أمواج النوم كما اشتملت على غيره من الناس والأشياء . ولكن ماذا ؟ هذا شخص يتقدم ساعياً هادئاً كأنه عش على الهواء حتى اذا دنا يمشى، من الفتى قال فى صوت رفيق غريب ، فيه أنس وفيه وحشة « احفر المضنونة » جسم الفتى هادئ، ولكن صورة من الحيرة قد ارتسمت على جبهته ، وهذا صوت خفيف رقيق ينبعث بين شفتيه وهو يقول : « المضنونة ؟ فينصرف الشخص وينقطع الصوت، ويفيق الفتى مذعوراً مأخوذاً، قد أظلم فى نفسه كل شىء، وأحاط اليأس

بعقله وقلبه وضميره . لا يرتفع بصره الى السماء ولا ينخفض الى الأرض، ولا يمتد الى أصنام الكعبة، ولكنه يدور حائراً! وينهض الفتى وهو يقول: ما أرى الا انى سأجن ! لئن أصبحت لآتين الكاهن، فلعلى أجد عنده من هذا العارض شفاءً .

أقبل أيها الصبح ، اسرع فى الخطو : ارفق بهذه النفس الحائرة، هلم الى سوطك المشرق المضىء ، فبدد به هذه الأشخاص الماثلة ، فرق بهذه الظلال المضطربة من حولى . ويقضى الفتى ليلا طويلا ثقيلا، حتى اذا كست الشمس بضوئها النقى ظواهر مكة و بطاحها أسرع الفتى الى المسجد يريد أن يقص أمره على الكاهن . ولكنه لا يكاد يبلغ مجالس قريش فى فناء المسجد، حتى تذهب عنه حيرته و يفارقه وجومه ، و يمتلىء قلبه اطمئناناً وثباتاً ؛ ماذا ؟ أأزعم للكاهن انى مجنون وتشيع فى هذه المقالة و يضحك منى حرب بن أمية ولداته و يتندر على فتيان مخزوم؟ . كلا ، ما أكثر هذه الخيالات التى تسكن الى نفسها فى قبور الموتى ! . وتختبىء فى الكهوف والأغوار ما أضاءت الشمس، واستيقظت الطبيعة. فاذا أظلم الليل ونام الكون انتشرت هذه الخيالات فى الجو فمنها ما يصعد فى السماء يرعى النجوم، ومنها ما يهبط الى الأرض يروع الناس . وما أرى أن هذا الطائف الذى يؤرقنى منذ ثلاث إلا خيالا من هذه الخيالات لعله ظل ميت من موتى قريش قد أنسيه قومه فهم لا يزورونه ، ولا يقربون اليه لعله شيطان من هذه الشياطين التى تلح على الانس فتتقاضاهم الطاعة وتخضعهم لسلطانها كرهاً . لعله نذير من احد الآلهة يطالب بالضحية والقربان ، لقد مضت أيام ولم تقدم الى الآلهة شاة ولم ينحر لهم جزور ، ولم تصطبغ أرض المسجد بهذا الدم الحار القانى الذى تحب الآلهة لونه ورائحته . إيه ياعبد المطلب، تقرب الى الآلهة بضحية ترضيهم لعلهم يرضون، ولعلهم يكفون عنك هذا الشر ! وأقبل الفتى على مجلس من مجالس قريش ، فتحدث وسمع ولكنه كان شارد النفس فلم يطل الحديث ولا الاستماع ونهض مولياً ، فلما انصرف عن القوم قال حرب بن أمية لمن حوله أرأيتم إلى سرى بنى هاشم ، انى لأراه محزوناً، وانى لأعرف فى وجهه الهم، لم يحدثنا اليوم عن مآثر أبيه ومفاخر عمه .

ومضى الفتى الى أهله ،فلما دخل على امرأته انكرت عودته اليها من الضحى ، فاستقبلته دهشة وهى تقول ! إيه ياشيبة ما خطبك ؟ انى لأنكرك منذ أيام .أراك مؤرق الليل ،قلق النهار، قليل الحديث ، طويل التفكير . ولقد هممت أن أسألك مرات، ولكنى خشيت ردك على وانتهارك لى . فانى لأعلم فيكم معشر قريش رقة للنساء ،ودعابة معهن .ولكنى لا أجد عندك ما أجد عند قومك، فأنت صامت اذا خلدت الى أهلك، وأنت مقطب الجبين إن أظلك معهم سقف . تحدث مايحزنك؟ اخرج عن هذا الصمت الذى لزمته ، كن رجلا من قريش ،أشرك أهلك فيما يعنيك، لقد أذكر يوم أنبأنى أبى أنك خطبتنى اليه ، لقد فرحت بهذا النبأ، لقد كنت أتحدث الى أترابى فى البادية بأنى سأصبح امرأة من قريش، اجد من نعمة الحياة ولينها ومن ظرف الزوج ورقته مالا يجدن تحت خيام بنى عامر بن صعصعة ،ولكنى وجدت نعمة وليناً ،ووجدت حباً وعطفا،ووجدت عناية لا تعدلها عناية،ولم أجد احب ما كنت أطمح اليه ،لم أجد منك ابتسام الثغر ،ولا انبساط الجبين ،ولا انطلاق اللسان. قالت ذلك وانتظرت هنيهة . فأجابها زوجها بصوت هادىء حزين . عزيز على يا سمراء ما تجدين من حزن ،وما تحسين من خيبة الأمل . انى لأحبك كما يحب الظمآن ما ينقع غلته من الماء العذب . انى لآنس اليك انسا يزيل عن نفسى كل هم و يحبب الى الحياة و يرغبنى فيها . انى لأشتاق الى التحدث اليك والاستماع لك والانس بك ،ولو خيرت لما عدلت بمجلسك مجلس قريش ولا ببيتك فناء المسجد ودار الندوة . ولكن ،قوة خفية عاتية طاغية تملك على نفسى وتأخذ على كل سبيل وتدفعنى الى حيث لا أدرى ولا أريد . ايه يا سمراء ،انى لمؤرق الليل ،قلق النهار مفرق النفس منذ ليالى، وانى لأخشى على نفسى شراً . هذا طائف يلم بى اذا أغرقت فى النوم فيأمرنى بصوت رفيق غريب ،فيه انس وفيه وحشة أن أحفر شيئاً يسميه طيبة و يسميه برة و يسميه المضنونة ،فاذا سألته عما يريد انصرف شخصه وانقطع صوته ،وافقت حائراً مذعوراً . لقد هممت ياسمراء، أن أقص رؤياى هذه على الكاهن ،وأن أصف له ما أرى وما أجد، ولكنى أشفقت أن يتحدث الناس عنى انى مجنون ،أو أن يتندر بى فتيان قريش فيقولوا : ان له رئياً من الجن .أشيرى ماذا ترين؟ قالت سمراء : هون عليك ولا تغل فى الخوف ولا تسرف فى الاشفاق،

ما أكثر ما يلم أمثال هذا الطيف بالناس عندنا في البادية ، فلا يحفلون ولا يأبهون ، ومع ذلك فما يمنعك أن تتقرب انت الى الآلهة في غير توسط للكاهن ، ولا توسل به ، ثم فضح لهم وقرب اليهم تسيرضون ، وسيرضى الفقراء والجائعون ، وسيغيظ ذلك قوماً من قريش .

وما هي إلا ساعات حتى كان فناء المسجد يموج بالناس ، فيهم الفقراء ، قد أقبلوا من البطاح والظواهر . وفيهم الأغنياء قد أقبلوا يقدمون الضحايا بين أيديهم . هؤلاء يتنافسون أيهم يغلي الضحايا ويكثر منها . وأولئك ينتظرون ويمنون أنفسهم بغريض اللحم وجيده . لقد سمعوا أن عبد المطلب يريد أن يضحي ، وان بني هاشم قد حفلت لذلك ، فكرهت أمية أن لا تفعل فعلهم وكرهت مخزوم أن تسبقها عبد مناف ، فأقبل أشراف قريش يستبقون في التضحية ، ويتنافسون في القربان ! تنافسوا . تنافسوا أيها الأشراف ! استبقوا أيها الاغنياء ! فان في ذلك شبع الفقراء وسعادة الأشقياء .

وقضت مكة يوما دامياً سمينا ، كثر فيه الطعام وكثر فيه الشراب ورضيت فيه الأصنام ، وسعد الفتى بما رأى ، ونسي الفتى ما كان يهمه وينغصه ، وقدر الفتى أن قد صرف عنه الشر ورد عنه المكروه ، ورضيت سمراء . فتحدثت كثيراً ، وسمعت كثيرا وأضحكت زوجها وابنها الحارث بملح الأعراب ، ونوادر البادية . وقالت لزوجها وهي تمسح رأسه : أحبب إليّ بهذا الطائف الذي أرقك وأضناك ، فقد حقق أملي وأراني ما كنت أطمح اليه . ورسم في قلبي صورتك جميلة خلابة ؛ فاني أراك منذ اليوم – مهما تكن الخطوب – إلا باسم الثغر ، منبسط الجبين ، منطلق اللسان . وهل السعادة إلا لحظات قصار ، تصيبنا ولم ننتظرها ولم نقدر لها حسابا ! فما أسعد القلب الذي يحتفظ بهذه اللحظات حين تمر ، ويتخذها ذخراً للأيام ، وما يعرض فيها من الخطوب قال عبد المطلب : إذن فأنت راضية ياسمراء ، إن رضاك ليقع من نفسي المحزونة موقع الماء من الأرض الجدبة . انعمي بما أنت فيه ، وانتظري أن يقدر الله لك خيراً منه . فلو قد صرفت عني هذه القوة العاتية الطاغية لأريتك ياسمراء كيف تطيب الحياة ، وكيف ترق حواشي العيش . وأوى الفتى إلى مضجعه راضياً مسروراً ، واستقبل النوم مبتهجا له راغباً فيه ، ولكن هذا الشخص يقدم عليه ساعيا في هدوء ، كأنما يمشي في الهواء ، حتى اذا دنا منه انحنى عليه ، ووضع على جبهته يداً باردة خفيفة ، وقال في صوت رفيق غريب ، فيه أنس وفيه وحشة . احفر زمزم . واضطرب جسم الفتى كله واضطربت نفس الفتى كلها وانفتحت شفتاه عن هذه الكلمة : وما زمزم ؟ قال الطيف بصوت رفيق مؤنس ، قد فارقته الغرابة والوحشة ومازجته سخرية ورحمة . « لا تنزح ولا تذم ، تسقي الحجيج الأعظم ، وهي بين الفرث والدم ، عند نقرة الغراب الأعصم » قال الفتى : « الآن قد وعيت » فتولى عنه الطيف باسما وهو يقول : « الله أنتم أيها الناس لا يكفيكم الوحي ، ولا تفقهون إلا سجع الكهان . رويداً عما قريب سيفنى ، الصبح » ونهض الفتى مبتهجاً مسرورا . فلما أصبح دخل على سمراء ، مشرق الوجه مضيء الأسارير . قالت وهي تسمي اليه : أيهما أحب إلى نفسي اشراق وجهك أم اشراق الشمس ؟ ما أرى إلا انك قضيت ليلا هادئا . قال : انعمي صباحا ياسمراء ، لقد طابت الحياة منذ اليوم ، ان هذا الطائف الذي يلم بي منذ ليالي ، طائف خير يأتي بالنعمة والغيث ، انه يأمرني أن أحتفر في فناء المسجد بئراً ، فلأفعلن منذ اليوم ، ولئن ظفرت بها ليشربن الحجيج في غير جهد ولا عسر . هلم ياحارث خذ معولا ومكتلا ومسحاة واتبع أباك . ويتبعه الماء إلى عرفات . .

(يتلى) طه حسين

فاوست

للشاعر الفيلسوف جوت الالماني

نقلها عن الألمانية

الدكتور محمد عوض الاستاذ بمدرسة التجارة العليا

الشيخ عفا الله

قصة مصرية

(بقلم الاستاذ محمود تيمور)

حدثنى صديق ، قال :

منذ عشرين عاماً كنت أسكن جهة درب سعادة . ذلك الحى القديم اذ الشارع الضيق والمبانى المتزاحمة الأثرية . وكنت اذ ذاك فى التاسعة عشرة من عمرى أحضر لامتحان الشهادة الثانوية . وفى أوقات فراغى كنت أجلس أمام البوابة أتفرج على الرائح والغادى. وكان يمر أمام الدار ـ من وقت لآخر ـ شيخ بملابس بسيطة ضامر الوجه ، بلحية خفيفة فيها آثار الشيب ظاهرة . هادىء المشية. يسير فى وقار . منكس الرأس على صفارته يناجيها بألحان شجية . فكنت أستوقفه وأطلب منه أن يسمعنى شيئاً من أنغامه . وكانت جميع ألحانه تحوى كثيرا من معانى اليأس والحنو . ولاحظت أنه قنوع يرضى بالقليل . وكان اذا استرسل فى صفيره خيل لك أن الصفارة تتكلم وتنوح كأنها تحاول أن تفشى سراً ! وهو على طهارة قلبه ومظاهر الصلاح الناطقة على وجهه ، لا يؤدى اى فرض من فروض الصلاة ، ولا يذهب الى الجامع مطلقا ! ولا يتكلم عن شىء اسمه مغفرة ورحمة . واذا ذكر اسم الله أمامه طأطأ رأسه ذليلا ، وتمتم بألفاظ متقطعة غير مسموعة ! .

وتوثقت بينى وبين الشيخ ألفة ساذجة . وحاولت أن استوضحه حقيقة آلامه فلم يرض أن يبوح لى بشىء . فاحترمت رغبته وصممت أن لا افاتحه فى هذا الموضوع . وظل الرجل وقتا ما لغزا لا استطيع الوصول الى حله . ومرت الأيام والشيخ يزورنا مرة فى الأسبوع فاحظى منه بألحان شجية ، وحديث هادىء جميل ! . وكان يسترسل فى الكلام بعض الأحيان فتفلت منه من غير وعى بعض جمل وكلمات بدأت تكشف لى شيئا من سره . وكان ينشد لى كثيراً من المواويل الريفية فى الحب والتشبيب بالنساء وكان اذا لفظ كلمة « الغيط » لفظها مفخمة منغمة واتسعت عيناه ولمعت بوميض غريب . واتسع صدره وتمددت طاقتا انفه وهو يستنشق فى شغف الهواء الذى يحسبه هواء الريف . ثم يعقب ذلك تنهد حار عميق ، ومناجاة طويلة لصفارته وباغته ذات يوم بقولى:

ـ اقسم بالله لقد اكتشفت سرك ياشيخ « عفا الله » !

فارتعد مذعوراً . واتممت كلامى :

ـ انك فلاح من الريف

فنظر الى بحيرة وقال بعد تردد :

ـ وهل استطيع ان انكر « اصلى » !

ـ وانك تتألم من حب دفين .

فأمسك بيدى وشد عليها ، وقال :

ـ اسكت ياسيدى ، اسكت :

ـ وانك ارتكبت معصية كبرى ، وتريد التكفير عنها

فامتقع وجهه ونظر الى محملقا ، وقال :

اعالم سرى . . ؟ اعالم سرى ؟ . .

واخذت استدرجه فى القول حتى لان . وبدأ يروى لى قصته كالآتى :

لم اكن أدعى بالشيخ « عفا الله » فيما مضى ، بل كنت اعرف « بسرحان » وهو اسمى الحقيقى وكان لى اخ يدعى « محمد الرخ » كان اماما لمسجد القرية التى نشأت فيها . وكان قد تجاوز الأربعين ، بينما كنت فى السابعة عشرة . وكنت اعتبره كأبى واحبه حبا عظيما وكان هو الآخر يحبنى كابن له : وقد حفظنى القرآن وعلمنى اصول الدين واشركنى معه فى خدمة المسجد . وكنت قد بدأت اتعلم الصفير فى ذلك العهد على شيخ طريقة مجذوب يجيد التوقيع على الصفارة وانشاد القصائد الصوفية . ولما برعت فى الصـ[illegible] كان يلتف حولى على باب الجامع . بعد العشاء . جمع كبير [illegible] يستمعون الى .

وكانت زوجة اخى قد توفيت منذ عام ، فتزوج بفتاة فى الخامسة عشرة لم تقع عينى على املح منها . لها جاذبية غريبة سحرتنى وخبلت عقلى . رايتها للمرة الأولى فلم اتمالك ان احببتها حبا تملك على جميع مشاعرى وكبلنى بالرغم منى بقيود ظالمة لم استطع التخلص منها . وخجلت من نفسى ومن اخى ، واعتبرت هذا الحب الشائن اكبر خيانة لذلك الشخص . الذى وهبنى حنانه واخلاصه وثقته واردت ان احطم هذه العاطفة الذميمة ، ولكنى لم استطع فكتمتها فى قلبى ولم ابح بها الا لصفارتى ! فقد كانت عزائى الوحيد فى نكبتى .

وكنت اتعمد ان لا اخلو بزوجة اخى واتحاشى ان اكلمها الا فى الأمر الضرورى . وكنت امكث بعيدا عن الدار فى لجة الليل ، اناجى حبى بألحان الشكاية والنوح . وحدث مرة ان كنت فى موضع خلوتى غير بعيد عن الدار ، اصفر فى شبه غيبوبة ، وانا ملتذ بآلامى اذ شعرت باحساس غريب فرفعت رأسى . والتفت حولى فوجدت « هنية » زوجة اخى جالسة غير بعيدة عنى تنظر الى فى صمت وخشوع . فذعرت وقمت من فورى وانا اقول :

ـ أنت هنا . . ؟

ـ منذ برهة وجيزة . . . انى أحب صفيرك وأشعر عند سماعه برغبة فى البكاء .

وتحركت أريد الهرب . فامسكت بطرف جلبابى وقالت :

ـ لماذا لا تريد أن تجلس ؟

فصرخت بالرغم منى قائلا : . .

ـ دعينى !

فنظرت الى دهشة ولم تتكلم . ثم قالت :

ـ ما الذى يدعوك الى كرهى . لماذا تهرب منى . .

وبغتة أجهشت بالبكاء . فشعرت كأن قلبى يتمزق وأن دماغى يحترق . ثم هبطت عليها دفعة واحدة ، وأخذتها بين ذراعى ، وأنا أقول : . .

ـ أنا أكرهك ياهنية ! . .

وانحنيت عليها أشبعها ضما وتقبيلا معبرا عن حبى الكبير بأحر العبارات . . وكانت الفتاة مستسلمة الى فى نشوة وغرام ! .

وبينما نحن على هذا الحال اذ طرق سمعنا أصوات من بعيد فصحونا من حلمنا اللذيذ . ورأينا على جسر الترعة أشباحا تسير متمهلة . فاضطربت هنية وهمست فى أذنى قائلة :

هذا أخوك عائداً مع المستأجرين .

ثم قامت دفعة واحدة وقالت :

ـ سوف أسبقه الى الدار . متخذة طريق الغيط .

وقامت تعدو كالظبى المذعور . وأنا أراقبها فى لهفة حتى ابتلع الظلام شبحها الجميل ! وسرت أنا الى الدار متمهلا فى طريق الجسر . فوجدت أخى قد جلس أمام الطعام منتظراً حضورى . ولما رآنى صاح بى مداعبا :

أيصح أن تتركنا ننتظرك . تعال ياملعون وشاركنا الطعام ! . أريد أن أقص عليك كيف أجرت الفدادين هذا العام بقيمة لم اكن أحلم بها .

وجاءت « هنية » ووضعت العيش أمامنا . وجلست مبتعدة قليلا عنا . وبدأنا نأكل . وكنت منهمكا فى تفكيرى ، لا أفهم شيئاً مما يرويه لى أخى ، مع تظاهرى بالاصغاء اليه . وكنت أرفع بصرى بين وقت وآخر نحو (هنية) فأجدها مسبلة الأجفان فى شبه ذهول تأكل بحركات ميكانيكيه ، ووجهها ممتقع . وحدث مرة أن رفعت نظرها الى . واشتبكت عينانا . وخيل لى أن وجهى يدنو من وجهها ، وان شفتينا على وشك التلاقى . وبغتة سمعت صرخة اهتزت لها الدار فارتعت ، وتنبهت لنفسى فرأيت (هنية) تشهق بالبكاء . قائــلة :

لا استطيع ! لا استطيع !

وهب أخى فزعا نحوها . وضمها الى صدره وهو يقول :

ـ مالك ياهنية ؟ . مالك ؟

ليس لى رغبة فى الأكل . دايخه . أريد ان أنام .

ـ قومى ياحبيبتى لتستريحى . .

وقامت متجهة نحو حجرتها وهى معتمدة على ذراع اخى . وكنت شاهد هذا المنظر وانا فى شبه خبل . اشعر بأنى قدتحجرت وصرت جزءاً من الأرض التى انا جالس عليها .

وعاد اخى بعد هنيهه ، وقال لى :

ـ المسكينة اجهدت نفسها اليوم فى أعمال الدار .

وكنت لا اطيق أن أنظر الى اخى فى هذه اللحظة وتصورته وحشا يريد افتراسى ! فقمت من فورى ووجهتى الباب . وسألنى أخى :

ـ الى اين ؟

ـ الى الجامع . اريد ان اصلى العشاء . ثم اقفله وأعود .

وخرجت اعدو الى مأواى المختار ــ الذى قابلت فيه (هنية) منذ وقت قريب ــ وارتميت على الأرض امرغ وجهى فى الموضع الذى كانت جالسة فيه ، وانا انشج نشيجا حارا وامضيت ليلتى هناك ، وانا لا يهنأ لى مضجع . ابكى واغفو وأحـــلم ، ثم اصحو برجفة تزلزل جسمى ، وكان يترائى لى شبح أخى فى يقظتى ونومى . يحوم حولى يريد ان يقتلنى ، فكنت العنه بأشنع اللعنات . وفى الفجر غلبنى نعاس عميق ، لم أصح منه الا عنـــد الظهر . وفتحت عينى واردت النهوض فخانتنى قواى ، اذ كنت اشعر بآلام شديدة وضعف هائل .

فجلست مستندا الى جذع شجرة خلفى واخذت استعيد قواى شيئا فشيئا . وكان الغم يخيم على قلبى ، وشعور الندم الشديد يكتسح نفسى . فقمت مهرولا نحو الجامع ، واعتذرت لأخى عن تأخيرى بمختلف الاعذار ثم هبطت على يده اقبلها ، وانا اقول له :

ـ انى احبك يا أخى !. واقسم بالله انى احبك حبا لم يضمره ابن لابيه . اريد دائما ان انال رضاك وعفوك . قل لى اتحبنى ؟ .

فأجابنى: . !

ـ ما هذا الكلام ياسرحان . هل رأيت منى غير الحب الكبير ؟ . انت ابنى بل انت افضل من ابنى : .

ونظرت الى اخى فوجدت آيات الاخلاص مرتسمة على وجهه . فاندفعت اقبل يديه من جديد ؛ وانا ابكى بصوت عال . وانتابتنى نوبة عصبية شديدة ، فارتميت على الأرض فى حالة تشبه الصرع . ولما افقت وجدت نفسى ممددا فى ركن من اركان الجامع ، واخى بجانبى مهموم الخاطر من اجلى ؛ يمرضنى ويحنو على .

ومضى اسبوع وانا لا اقصد الدار الا فى أوقات قليلة . وكثيرا ما كنت أتناول الطعام فى الجامع ، وانام ليلا فيه ، ولو استطعت لا متنعت بتاتا عن الذهاب الى المنزل . ولكنى كنت احتاط للامر حتى لا يشك اخى فى سلوكى . وكنت اجاهد ما أمكن فى سبيل ضبط عواطفى وأكلم « هنية » أمام اخى كلاما عاديا متحاشيا دائما النظر اليها . واذا تصادف وخلونا نحن الاثنـــان برهة صغيرة ظللنا صامتين منكسى الرأس واذا تقابلت الاعين اهتزت منـا الاجسام كأن مستها الكهرباء .

ومضت الأيام والنار تأكلنى أكلا . أنام نوماً سيئاً . وأقضى يقظتى فى شبه أحلام مشوشة . واذ أديت صلاتى أخطأت الأداء . وكان قلبى مسرحا لمختلف الاحساسات المتباينة . الغضب والرحمة . والكفران ، والتوبة والحب والبغض تتطاحن كلها باختلاط .

وتركت الدار — يوماً — بعد منتصف الليل بقليل و خرجت أعدو كالوحش المطعون وأنا أردد :

— انه معها فى الحجرة . انها له .. وهو يتمتع بها . . .

وهمت على وجهى لا أدرى أى وجهة أقصـــد . واخيراً وجدت نفسى امام الجامع فدخلته بدون وعى وارتميت على الأرض اعض يدى وأضرب رأسى فى الحائط ، وأنا مازلت أردد قولى :

انه معها فى الحجرة .. انها له . وهو يتمتع بها . . .

وبينما كنت على هذه الحالة ، شعرت بيد وضعت على كتفى . فالتفت مذعورا . فاذا « هى » امامى .. هى « هنية » فى تلك الساعة الموحشة من الليل ، وفى ذلك المكان المنعزل . فأخذتها بين ذراعى بلا كلام واحتضنتها بوحشية وانا أهذى

وأمضيت معها ساعة غرام عنيفة ، من أشهى ساعات الوجود . وأقسم لك أنه ليس على وجه الأرض منذ خلقت الدنيا شخص نال مثلى نعيم تلك الساعة . انها ساعة تساوى أعماراً بأ كملها .

وبعد ذلك نمنا متعانقين . . . وتنبهت فاذا الباب يقرع . واذا ضوء الشمس يغمر المكان . وسمعت صوت أخى يقول :

ـ افتح ياسرحان

فوجدتنى أجيب بلا وعى :

ـ سأفتح فى الحال

وكان للجامع نافذتان مشبكتان بالحديد . وليس ثمة مخبـــأ تستطيع أن تختبئ فيه هنيه أو منفذ تنفذ منه الى الخارج . فاختبل عقلى . ولكن خاطراً مر برأسى فقلت لها هامساً!

ـ اصعدى الى السطح . . اصعدى سريعاً

فقامت هنية وصعدت فى الحال الى السطح ؛ وقمت أنا الى الباب ففتحته . وتظاهرت بالفتور الشديد ودخل أخى وعليه شىء من مظاهر الغضب . وقال :

ـ أما زلت تنام فى المسجد ياسرحان؟ . اليس لنا دار تسعك معنا؟

ـ يحلولى الآن أن أتعبد فى المسجد حتى مطلع الفجر ! . .

وجلس أخى صامتاً . وبعد برهة تكلم بلهجة قلقة .

ـ لقد استيقظت من النوم : فلم أجد هنية بجانبى . وقد بحثت عنها طويلا فى الدار فلم اعثر عليها . .

فار تجفت . ولكنى تغلبت على ضعفى وقلت

ـ لعلها تكون قد خرجت لتملأ جرتها من الترعة

ـ ربما . . انما . . . .

ثم ابتلع ريقه وتمتم بكلمات لم أفهمها وقام وقال :

ـ هيا نصل الصبح!

وقمنا الى الصلاة . ولكن اى صلاة هذه التى اديتها فى ذلك الوقت . كانت صلاة للشيطان لا لله!

وانتهت الصلاة . وبدأ الناس يفدون على الجامع واصبحت فى حالة يرثى لها . واخيرا خرج اخى عائدا الى الدار . وما كاد يفعل حتى انسللت صاعدا الى سطح الجامع لأدبر حيـــلة لهرب هنية . وما كانت اشد دهشتى حينما رأيت السطح خالياً . ودرت فيه وانا كالمخبول ، ابحث هنا وهناك . وشعرت باحساس غريب يجذبنى نحو حافة السطح . وما كدت اشرف منه الى الأرض حتى صرخت مرتاعاً . ووجدت نفسى بعد لحظة على الأرض ولا ادرى كيف نزلت . وكانت هنية ملقاة بجوار الجدار تئن انينا خافتا فدنوت منها وانا فى جزع ولهفة وامسكت بها وسألتها عما اصابها ففتحت عينيها بصعوبة وقالت :

ـ لقد انكسرت ياسرحان . انكسرت!

وكانت تعض على شفتيها محاولة كتم تأوهاتها!

فاحتضنتها وأنا أواسيها وأشجعها . وسمعتها تقول :

ـ آلامى لا تطاق . . انى اموت !

وحملتها بكل عنـاية واحتراس . وأنا أ كاد أجن من الحزن . وذهبت بها الى دار أم عبد الجليل . وكانت امرأة وفية ولى محبة . وأخبرتها بشىء من الحقيقة ورجوتها أن تذهب الى أخى لتبلغه خبرا ملفقا . فقامت المرأة من فورها الى داره .

ونقلوا هنية الى دارنا وقد أشاعت أم عبد الجليل انها سقطت من سطح منزلها بينما كانت تأتى بوقود لها !

ومضى يومان وهنية تعيش فى أتون متقد من آلام لايتصورها العقل . أما انا فكنت أذهب الى زريبة المواشى ، وأحكم اقفالها

على . ثم انهـــال على وجهى باللطم . وانفجر فى نواح طويل وأنا أقول :

أنا سبب كل هذا !. أنا الذى يجب أن يعذب !. انا الذى يجب أن يموت!

وماتت هنية فى اليوم التالى ودفناها فى قرافة القرية باحتفال بسيط . اما حالتى يوم وفاتها فقد اعترانى خبل غريب ، فلم أصدق أنها ماتت . وكنت أؤدى عملى الذى كلفت به فى مأتمها ببساطة وهدوء، بل كان يعترينى بعض الأحيان نوبات ضحك يعقبها خمول ووجوم . ولكن بعد أيام بدأت أشعر برد فعل شديد . فأخذت اهيم فى الغيطان ؛ وأختبىء فى الذرة ، وانا ابكى واندب بلا انقطاع . واخيرا هدأت حالتى نوعا فعدت الى عملى فى الجامع . ولكن مرآى ذلك الجامع كان يزيد شجونى وعذابى . فتمثل أمامى جريمتى كلما وطئت عتبته ويخيل لى انى اسمع صوت سقوط جسم من اعلى السطح الى الارض . فتعترينى قشعريرة واخبى يدى وجهى فى يدى واجهش بالبكاء.

لقد عملت المستحيل لكى اضلل اخى ؛ وابعد شكه من ناحيتى وتحملت اكبر العذاب فى سبيل اخفاء جرمى . ولم اكن اجسر على النظر اليه . وكان يخيل الى انه يرفع يده فى وجهى يريد سحقى

ومضت الأيام وسرى ينمو ويتضخم فى قلبى فأشعر بثقله الهائل . ويخيل الى فى كل وقت ان قلبى يتمزق وان السر يطير منه ويعلن الى الملأ فضيحتى . وكانت ايام عذاب لااظن عذاب الجحيم يفوقها .

وفى ليلة عقب صلاة المغرب خرجت لأروح عن نفسى قليلا فقادتنى قدماى ، بدون شعور الى المكان الذى سقطت فيه هنية بجوار حائط الجامع . وبغتة قابلت اخى وجها لوجه ولا ادرى ما الذى ارسله الى فى هذه الساعة وفى هذا المكان . اهى المصادفة أم شىء آخر . لا ادرى !. ووقفنـــا امام بعضنا بالقرب من ذلك الجدار الرهيب . وشملنا الصمت برهة . وبغتة وجدت نفسى اصرخ واقول:

ـ لا تقربنى !. لاتقربنى !.

واندفعت اجرى كالمجنون اهيم على وجهى . وكان هذا آخر عهدى بأخى وبتلك الديار !. وأخذت منذ ذلك الوقت اطوف المدن، واعيش عيشة الطريد الشريد.

ثم اطرق الشيخ عفا الله صامتا . وشاهدت دمعة تنحدر فى بطء على خده . فقلت وانا شديد التأثر بما سمعت .

ـ لماذا لا تعود الى صلاحك، وتطلب مغفرة الله .

فرفع عينيه وقال :

ـ لقد تألبت على الأقدار . وسأظل حتى النهاية ذلك المتمرد العاصى .

ثم سحب صفارته من عبه فى هدوء . واخذ يوقع عليها لحنا شجيا فيه معنى الصبابة والتضحية . وكان منتشياً ، بلحنه يتذوق آلامه الدفينة فى شبه غيبوبة مسكرة .

فى الاكاديمية الفرنسية

انتظم فى سلك الاكاديمية الفرنسية أخيرا عضوان جديدان هما الكاتب القصصى بيير بنوا ، والمؤرخ الاشهر جوسلان لينتر . والأول هو أصغر « الخالدين » سنا . فهو لا يتجاوز الاربعين من عمره ، مع انه لا يرقى فى الغالب الى هذا الشرف الرفيع سوى رجال قطعوا معظم مراحل العمر وأشرفوا على الستين أو السبعين . وينتمى بيير بنوا الى أسرة من الضباط وقد كان أيام الحرب الكبرى ضابطا فى الجيش . فلما انتهت الحرب عاد الى الأدب . وسرعان ما ظهر فى ميدانه . وحاز ذروة الشهرة حينما اخرج روايته الشهيرة « الاتلانتيد » . وهو يتربع اليوم فى كرسى المؤرخ الشهير لافيس .

° ° °

واما المؤرخ لينتر ، فهو باحث محقق اشتهر بالاخص بتحقيقه فى تاريخ الثورة الفرنسية ، وله فى ذلك « باريس ايام الثورة » ؛ « وسقوط الجيروندبين » وقد اشتهر بتاريخ مختصر كتبه عن نابليون يمتاز بطرافته وفكاهته وقد حل فى الأكاديمية مكان الروائى الشهير « رنيه بازان » وهو يربى على السبعين من عمره ، ولكنه ما زال وافر الانتاج يشتغل بالتحرير فى جريدة « الطان » ويكتب فيها باب « التاريخ الصغير » .

اعتـذار

ضاق نطاق هذا العدد عن نشر كثير من الابحاث والابواب فنعتذر لحضرات الكاتبين ، وموعدنا بها العدد الثانى ان شاء الله

انتظروا عدد الرسالة الخاص بمشروع القرش



بنات اليوم على مسرح رمسيس

للأستاذ محمد توفيق يونس

بدأ الموسم التمثيلي هذا العام متأخرا عن موعده العادي . وكان اسبق الأيدي الى هصر الستار عنه فرقة رمسيس بتمثيلها رواية « بنات اليوم » لمديرها الأستاذ يوسف وهبي . وهي قطعة ناجحة في أربعة فصول شائقة الموضوع . قوية الحوار . سريعة الحركة الا أن فيها بعض الطول . وكلامنا عن الرواية يتناول أمرين موضوعها وبناءها . أما الموضوع فحيوي جليل خليق بالعناية والنظر . هو موضوع الأسرة المصرية الذي طالما أثار الانتقاد ، وبعث على الشكوى

فبنات اليوم من الروايات ذوات الفكرة التي تبحث في نظام الأسرة وتنبه الى الخطر الذي تتعرض له من الزواج المبني على اختلاف المشارب . وتباين الطباع . وتنافر الأهواء . الذي تعقده المصادفة ولا يقوم على أساس من حرية الاختيار وائتلاف المزاج

أحسن المؤلف اختيار موضوعه واجاد بسطه وان كان قد عني بالتأثير أكثر من عنايته بالتحليل والتعليل .

جمع المؤلف بين اثنين مختلفي الأفكار برباط الزواج وقد نكد حظ الزوج به وساء طالعه فزوجته تختلف عنه عقلية ومزاجا ولكنه سرعان ما يجد في اختها (لطيفة) فتاة تستطيع أن تفهم سر نفسه وتنظم أمور حياته . ويحلو الحب للعاشقين ولكن الزوجة (خديجة) تعلم أمرهما اذ يعثر أبوها على رسائل باللغة الفرنسية تبادلها الحبيبان فيطلب منها قراءتها فتعرف الحقيقة ولكنها تكتمها ، مدعية أن ليس فيها ما يريب . ولكن لطيفة تحمل فتأتي الى عيادة حبيبها وزوج اختها (الدكتور صادق) ليجهضها بعد أن ادعت انها مسافرة الى ضيعة احدى قريباتها . ولكن خديجة تفاجئها فاذا علمت ان اختها في خطر نسيت نفسها واهتمت بأمرها . ولكن الحالة تتحرج بدخول « سامي » خطيب لطيفة وابن عمها . وتنقذ الزوجة الموقف ثانياً فتدعي ان اختها اصطدمت بسيارة فجاءت الى الطبيب .

تنقضي فترة من الزمن يأتي بعدها عم لطيفه يطلب يدها لابنه سامي فيوافق الأب ولكن الابنة ترفض فلا يأبه لها ويمضي في تنفيذ ارادته . وتخلو لطيفة بابن عمها فتعلن اليه انها لا تستطيع أن تقبله زوجا لأنها لا تحبه . ويعود الأب فيملي عليها ارادته ولكنها لا تطيع . فيثور ويحتد فتضطر الفتاة الى ان تعلن ان رفضها الزواج من ابن عمها انما كان لانقاذه وتسأل سامي أيقبل ان يتزوج من فتاة ساقطة سلمت نفسها لغيره . فيجن جنون الأب ويسألها عن الجاني فيخبره صادق بالواقع بعد ان ينبئه أن جهله وغطرسته وتشبثه بتزويج ابنته الكبرى قبل الصغرى كالتاجر الذي يريد التخلص من بضاعته القديمة قبل الجديدة قد دفعهما الى هذا الموقف الأليم . ولكن الأب لا يسمع ولا يرحم فاذا البيت شعلة من نار تحاول لطيفة أن تطفئها فتلقي بنفسها في النهر فيلحق بها صادق وسامي

وتنجو لطيفة ويطردها أبوها فتبحث عن عمل وتلجأ الى بيت حقير يأويها . اما صادق فيسجن لقاء جريمته ثم تنقضي مدة السجن فيعود الى حبيبته ويتفقان على ان يغادرا البلاد معاً ليستأنفا الحياة من جديد . ثم تقبل خديجة وابنها ترجو من زوجها ان يتركه لها فيودعهما باكيا مستغفرا . ولهذا الموقف اثره في نفس لطيفة فتأبى الرحيل مع صادق حتى يبقى لزوجته وابنه وتسأل سامي ان كان يقبل توبتها ويرضى بها زوجة فيوافق راكعا .

هذا مجمل الرواية او بالأحرى مجمل الحادث الأصلي فيها ولم نعرض من الأشخاص الا الأساسيين في العمل فالرواية مليئة بالحوادث مزدحمة بالأشخاص وكان اجدر بالمؤلف ان يسير الى غايته قدما حتى لايضعف اثر الحادث الأصلي في الرواية ولا يقطع سلسلة العمل الأساسي بمشاهد ثانوية وشخصيات فضولية . هذه المشاهد في ذاتها قوية الوضع وتلك الشخصيات خفيفة الظل ، ولكن قيمتها بالنسبة الى الرواية ضئيلة وصلتها بها واهية . واثرها عكسي في الواقع يخمد من حدة الشعور ويعوق وجهة الدفع الروائي نحو النهاية .

وكذلك يقطع العمل اثناء الرواية بحلول تكاد تكون حاسمة بحلن ان تقف الرواية عندها والروايات الحديثة تنتهي دون خاتمة ولا حل تاركة المجال للتفكير والتأمل .

وفي الرواية شيء من التصنع كتصريح الزوج انه هو المعتدي على عفاف اخت زوجه . وعلى عمل الأب على زج زوج ابنه في السجن مع ما في ذلك من فضيحة للاسرة جميعها .

اذا غضضنا النظر عن هذه المآخذ استطعنا ان نقول ان الرواية جميلة قوية مؤثرة ذات مواقف درامية صادقة ومناظر انسانية رائعة تسترعي سمع المشاهد وتأسر لبه

ولا عجب فقد درس الأستاذ يوسف وهبي المسرح وخبر الجمهور فضرب على اوتاره الحساسة واستطاع ان يظفر منه بالاعجاب والاقبال ولا يسعنا نحن الا ان نحييه ونهنئه ونرحب به عاملا من عوامل بناء المسرح المحلي ؟